

الفصل الثانى
مظاهر تطور العلوم
الأساسية فى مدن الصغد

الفصل الثانى

مظاهر تطور العلوم الأساسية فى مدن الصغد

تشتمل العلوم الأساسية على علم القراءات والتفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم المستمدة من القرآن والحديث. والقرآن الكريم هو كتاب الله الذى أنزله على رسوله بالهدى والحق، وهو المحور الذى تدور عليه ملكات المسلمين النظرية والأدبية، وهو أصل الشريعة الإسلامية ومصدر المعرفة لدى المسلمين، وشغل المسلمون ببلاغته وبيانه، وأقبلوا على دراسته واستخراج العلوم المنبثقة منه مثل قراءة القرآن وتجويده وتفسيره وأحكامه وغيرها^(١).

أما الحديث النبوى فهو المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم، وكانت دراسة علوم القرآن باعثاً قويا على ظهور علوم الحديث الشريف، وذلك لأنه يفصل ما أجمله القرآن ويفسر ما يصعب على الناس فهمه^(٢).

أولاً: علم القراءات

علم يبحث فى كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم^(٣) من حيث إنه كيف يقرأ^(٤)، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة، وفائدته صون

(١) رحيم كاظم محمد الهاشمى وعواطف محمد العربى شنقارو: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٠٥.

(٢) رحيم كاظم محمد الهاشمى وعواطف محمد شنقارو: المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

(٣) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٦٩. عصام عبد الرؤوف الفقى: معالم التاريخ الإسلامى، ص ٣٨٢.

(٤) محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار، دار غريب. القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٥٩.

كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير^(١). وبيان الطرق المختلفة التي يتلو بها القراء القرآن الكريم وهي ثابتة بأسانيدھا إلى رسول الله ﷺ بحيث لا يتغير المعنى بتغير الكلمة^(٢).

أزمع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه على جمع القرآن الكريم وكتابه، بعد ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته، على أنه لم يمض على إرسال مصاحفه إلى الأمصار زمن قصير حتى أصبح لأهل كل مصر قراءة^(٣). ولا غرو في ذلك لأن تباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة أوجد اختلافًا في النطق بحروف القرآن الكريم^(٤).

أما سبب اختلاف القراءات، فهي أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل؛ وذلك لخاصية الخط العربى الذى يجعل الكلمة الواحدة تقرأ بأشكال مختلفة^(٥)، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا نقلوه سماعًا عن الصحابة ومن ثم اتبع أهل كل مصر قارئًا يثقون بصحة قراءته، لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن. ومن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد^(٦)، واشتهر سبع قراءات

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، ج٢، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ص٦.

(٢) الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة، ١٩٧٢، ص٧٥٥.

(٣) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ص٦٦٦.

(٤) عبد المنعم مازد: المرجع نفسه، ص١٦٩. عصام عبد الرؤوف الفقى: المرجع نفسه، ص٣٨٢.

(٥) شمس الدين بن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، القاهرة، ١٩٣١، ص٥٥، ٥٦. محمد الحسينى عبد العزيز: الحياة العلمية فى الدولة الإسلامية، ص٦٨.

(٦) قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى 'رجال علوم القرآن'، مج١، مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية، طهران، ١٩٨٤، ص١٦.

معينة تواتر نقلها، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة، ويعدّها بعضهم عشراً، ونسبت كل طريقة من هذه الطرق إلى من اشتهر بروايتها من بين الرواة الكثيرين^(١).

فالقراءات السبع هي القراءات التي جمعها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) باختياره الخاص فاشتهرت عنه، والسبب في إجماع العلماء على هذه

(٣) القراء المشهورون الذين نسبت إليهم هذه الطرق هم:- أبو الحسن الكسائي على بن حمزة ابن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي انتهت إليه رياضة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات (ت ٩٣هـ/ ٧١١م)*. - أبو معبد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الإمام المالكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)** - عاصم بن بهدلة أبي النجود شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رياضة القراءة بالكوفة (ت ١٢٧هـ/ ٧٤٤م)***. - عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة (ت ١٢٨هـ/ ٧٤٥م)****. - أبو عمر بن العلاء زيان بن العلاء بن عمر بن عبد الله التميمي المازني المقرئ قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة على شيوخ كثيرة (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)*****. - نافع بن عبد الرحمن بن نعيم أو رويم أو أبو الحسن وهو مولى جعونه بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب المدني أصله من أصبهان كان إمام أهل المدينة وهم صاروا إلى قراءته (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م)****. والقراءات الثلاث الزائدة على السبع هي قراءة يعقوب وخلف وأبي جعفر بن القعقاع وهي لا تخالف رسم المصحف وصارت القراءات عشر*****

* طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٤١.

** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩.

*** الذهبي: معرفة القراء على الطبقات والأمصار، ج ١، ص ٧٣.

**** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤.

***** الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٨.

***** طاش كبرى زاده: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦.

***** ابن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٤٩. محمد عادل عبيد

العزیز: الحضارة الإسلامية، ص ١٥٩

القراءات هو كثرة أهل وأصحاب البدع الذين يقرءون بما لا تحل تلاوته، تاركين المصحف الإمام. وبدون شك فإن هذا يؤدي إلى أن يتسع الخرق على الراقع، وتمتد يد البدعة إلى قراءات القرآن الصحيحة لتحرف فيها، ولهذا تجرد قوم بشأن القرآن العظيم فاختراروا في كل مصر وجه إليها مصحف أئمة مشهورين بالثقة، والأمانة في النقل وحسن الدراية وكمال العلم أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء واشتهر أمرهم، وأجمع أهل العصر على عدالتهم ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم^(١).

قال ابن الجزرى: "أجمع الأئمة على قراءات السبعة" ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ما عدا السبعة ليس بصحيح^(٢). وقال النبى: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"^(٣) وما اختلف فيه القراء بمعزل لأن ما اختلف فيه القراء لا يخرجون فيه عن خط المصحف الذى كتب على حرف واحد^(٤).

جدير بالذكر أن القراءات السبع لم تكن متميزة عن غيرها إلا فى القرن الرابع الهجرى عندما جمعها ابن مجاهد ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره ممن هو أوسع رحلة، وفى ضوء ذلك لا يعلم أحد من المسلمين حظر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع^(٥) ولما كانت هذه القراءات متواترة تلقاها جماعة عن جماعة مستحيل تواطؤهم على الكذب وإذا كانت كذلك فليس تواترها ولا تواتر السبع مقتصر عند أهلها فقط بل هى متواترة عند كل مسلم^(٦).

(١) عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة فى

القراءات وأشهر القراء، ج١، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٢، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) ابن الجزرى: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٥٢.

(٣) المنذرى: مختصر صحيح مسلم، ص ٦٣٥.

(٤) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص ٥٥، ٥٦.

(٥) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٦) ابن الجزرى: المصدر نفسه، ص ٤٥.

عنى علماء المسلمين بالقراءات حتى صارت علما هاما بين العلوم التي انبثقت عن القرآن الكريم، وألف فيها عدد غير قليل من الكتب، ويقول ابن خلدون^١ القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة روه عن رسول الله على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوّل ذلك واشتهرت إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمل الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل^(١).

كان من مشاهير القراء في سمرقند أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن الحسن الاسترابادى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) قال النسفى: كان الاسترابادى مجتهدا يكتب عامة النهار وهو يقرأ القرآن ظاهراً، وكان لا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر، وإذا دخل عليه أحد فأكثر قطع كلامه وجعل يقرأ القرآن، وكان يختم كل يوم ختمة^(٢) وأبو أحمد عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن العباس بن إسماعيل بن أحمد المقرئ الهروى الساكن سمرقند (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) كان من كبار القراء^(٣).

كما يعد أبو نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ابن بشر بن كامل بن زيد بن سعيد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن معتمد ابن هبة الله بن زيد بن جرير بن عبد الله السمرقندى المقرئ من أشهر قراء عصره (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان يعرف بالعراقى لكثرة مقامه بالعراق وسفروه

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص ٤٣٧.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٤٠، ٢٣٩. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٥٤٥.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص ٣٦٧.

إليها، وكان من القراء المجودين، رحل فى طلبها إلى العراق والحجاز وأدرك الشيوخ من القراء، وقرأ عليهم القرآن ورجع إلى بلاد ما وراء النهر وصنف التصانيف القيمة فى القراءات، ومنها كتاب "الوقوف" وأيضاً الكتاب الذى رآه السمعانى ووصفه بأنه غاية فى الإحسان وأورد فيه الروايات وذكر القراء سبعة^(١).

ومن القراء البارزين الشيخ أبو حفص عمر بن بانوش بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم ابن عطاء السمرقندى (ت بعد ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) وكان شيخه محمد بن إبراهيم بن عطاء السمرقندى^(٢). كما برز من مقرئى سمرقند أبو محمد عبد الله بن أبى بكر بن عبد الله الغازى الكدكى (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) من أهل سمرقند صهر الإمام عمر القراء، روى عنه أبو حفص عمر ابن أبى بكر بن أبى الأشعث القراء^(٣).

ومن كبار القراء أحمد بن على بن محمد بن يحيى بن الفرج أبو نصر الهاشمى البصرى الهبارى (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) رحل فى طلب القراءات إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل بغداد وقرأ بها ودخل دمشق والعراق ثم جال فى خراسان وبلاد ما وراء النهر ودخل بخارى وسمرقند^(٤). ومن بينهم عبد الحميد بن منصور بن محمد بن عبد الله الأستاذ أبو محمد البجلي، الحريرى المقرئ المجود شيخ القراء بسمرقند (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م)^(٥) وأيضاً أبو بكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندى المقرئ (ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) نزىل دمشق ثم نزىل بغداد، روى عنه ابنه أبو القاسم إسماعيل السمرقندى،

(١) السمعانى: الأنساب، ج٤، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) النسفى: المصدر نفسه، ص ٤٠٥.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٨.

(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٥) الذهبى: المصدر نفسه، ج٣٣، ص ١٧٨. السمعانى: الأنساب، ج٤، ص ١٧٦.

وكان أبو بكر يكتب المصاحف من حفظه وكان إذا فرغ من الوجه كتب الوجه الآخر إلى أن يجف ثم يكتب الوجه الذي بينهما، وكان محمودا متقنا عارفا بالروايات محققا في الأخذ وكان يكتب على طريقة الكوفيين^(١) وقرأ أبو بكر أحمد السمرقندي على أبي على الأهوازي (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) الذي كان أشهر قراء عصره، وكان أعلى من بقى في الدنيا إسنادا في القراءات، عني من صغره بالروايات والأداء وقرأ لعاصم وأبي حفص، ورحل إليه القراء لتبحره في الفن وعلو إسناده^(٢).

ويعد أبو نصر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاس المقرئ (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) نزيل سمرقند من أشهر المقرئين، كان مقرئا فاضلا، له مصنفات عديدة منها " تحفة الأخبار في أقسام الأخبار "، " عدة السالكين وعمدة السائرين " و" المنية في القراءات "^(٣) ومحمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي المقرئ (ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م) نزيل سمرقند، وهو والد أبي حفص عمر^(٤). وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن

(١) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٩٢. ابن الجوزي: المتظم، ج٩، ص ٩٨. الديماطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبي الفرج، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٦٤. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢٢٧. الصالحى: طبقات علماء الحديث، ج ٣، ص ٤١٧. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥، ص ٩١. النوى: مختصر طبقات الفقهاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣٣٢. محمود سعيد ممدوح: الاحتفال بمعرفة الرواة الثقات الذين ليسوا في تهذيب الكمال، مج ٢، الإمارات، ٢٠٠٣، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ج١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ٣٢٢ - ٣٢٤.

(٣) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٨١.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ١٩٦.

الحسن القطان السمرقندى (ت ٤٩٧هـ / ١١٠٣م) من كبار المقرئين^(١).

كما يعد أبو الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد المنان بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد (ت ٥٠١هـ / ١١٠٧م) من القراء البارزين، سكن سمرقند، وكان ابنه محمد بن طاهر كذلك من كبار المقرئين بسمرقند^(٢) والشيخ المقرئ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يوسف النسفى (ت ٥١٧هـ / ١١٢٣م) نزىل سمرقند^(٣). وأبو سعيد هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد (٥١٩هـ / ١١٢٥م) وهو من سلالة بلال بن رباح مؤذن رسول الله طاف البلاد واستقر بسمرقند، سمع وقرأ القرآن، وكان شيخاً جهورى الصوت بالقرآن حسن النغمة بالأذان^(٤).

ومن كبار القراء أبو محمد عبد الله بن عثمان بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد المقرئ (ت ٥١٩هـ / ١١٢٥م) نزىل سمرقند^(٥). وأبو بكر محمد بن الحسن بن جعفر بن على بن المظفر بن عمر بن الحسين بن أبى بكر بن عبد الجليل بن أحمد الياركئى (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) سكن سمرقند، وقرأ بها على مشايخ عصره^(٦) وعبد الغفار بن أحمد بن محمد بن يعقوب السمرقندى (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨م) توفى فى البادية وهو فى الطريق إلى الجح^(٧).

(١) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٤٠٥.

(٢) النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٢٨٧.

(٣) النسفى: المصدر نفسه، ص ٥٥٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٩، ص ٢٣٤. النسفى: المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٥) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٥١. العسقلانى: تبصير المتنبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد البجاوى، ج ٣، بيروت ١٩٧٦م، ص ١١٧٦.

(٦) السمعانى: الأنساب، ج ٤، ص ٦٧٥.

(٧) النسفى: المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

كما كان محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر الحنفي المقرئ البخاري (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م) ويعرف بكاك، من أشهر المقرئين، سافر إلى البلاد وسمع بنيسابور وبخاري وسمرقند وهمدان وعاد إلى سمرقند فسكنها مدة ثم قدم بغداد وحج في هذه السنة وحدث بالحرمين^(١). وإسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي (ت ٥٣٦هـ / ١١٤٢م) محدث حافظ مقرئ قرأ على أبيه^(٢). وعمر بن مظفر بن حفص المغازي البغدادي المقرئ المحدث (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) قرأ بالقراءات السبع على أحمد بن أبي الأشعث السمرقندي بطرق الموجز للاهوازي، وكان من أهل العلم والعمل^(٣). وأبو الفتح عبد الملك بن عبد الله الكروخي الهروي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) شيخ صالح سديد السيرة سكن بغداد مدة ورحل في طلب العلم، وسمع بقراءة المؤمن بن أحمد الساجي وأبي أحمد عبد الله بن أحمد بن السمرقندي الحافظين من أبي عطاء عبد الرحمن بن عاصم الجوهري^(٤). كما كان شهاب الدين أبو أحمد محمد ابن محمد بن عمر الخالدي الجنبذي السمرقندي شيخ الإقراء بسمرقند قرأ بالروايات على والده، وكان عارفاً بالمشهور والشاذ، سمع من أبي سعد السمعاني، روى عنه ابنه المقرئ شمس الدين أبو محمود محمد وأبو رشيد الغزال^(٥).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٠، ص ٢٤. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨،

ص ١٣٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٢) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣٥٨.

(٣) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٤) عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر، ج ٢، ص ٥٩.

(٥) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٢٤٦. ابن حجر العسقلاني:

تبصير المتنبه بتحرير المشتبه، ج ١، ص ٣٦١. الذهبي: المشتبه في الرجال، تحقيق على

محمد البجاوي، ج ١، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٨٣. السمعاني: الأنساب، ج ٢،

ص ٩١.

كان من بين القراء البارزين محمد بن محمود بن محمد على (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) سبط ناصر الدين أبى القاسم السمرقندى، له المصنفات الكثيرة فى علم القراءات منها "الخلافاً بين شعبة وحفص" الروايتين لعاصم، كتب رواية شعبة بالجمرة ورواية حفص بالسواد. وله "تجويد الفاتحة والتوحيد" و"إيضاح الخوالت فى رسم المصاحف"، "روح المريد فى شرح عقد الفريد"، "عقد الفريد فى علم التجويد"، "كتاب التسجير على طريق التشجير فى علم القراءات" و"المبسوط والمضبوط فى القراءات السبعة فارسى" (١) والقراءات السبع فى ثلاثة كتب، أوله "الحمد لله الذى أذاق قلوب القارئ حلاوة تلاوة القرآن، ويذكر فى آخره فمن أراد التفصيل فليراجع تأليفنا روح المريد فى شرح العقد الفريد (٢).

كما كان من كبار القراء محمد بن الحسين بن الحسين بن محمد بن إسحاق بن موهوب ابن عبد الملك بن منصور السمرقندى المقرئ (ت ٥٨٢هـ / ١١٨٦م) خطيب سمرقند من أفاضل علماء بلده (٣). وأبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عثمان بن إبراهيم السمرقندى (ت ٦٣١هـ / ١٢٣٣م) القارئ بالتجويد، روى عن أحمد بن على بن هبة الله المأمون (٤).

خلاصة القول: اهتم علماء الصغد بالقراءات القرآنية حتى أصبحت علماً مدوناً بين علوم القرآن الكريم، امثالاً لقول رسول الله ﷺ: "تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد من الإبل فى عقلها". وقوله

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٢٠٩. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) آقا بزرگ الطهرانى: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٩، ط ٢، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٥٥.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٤١، ص ١٤٧.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٥١. ابن حجر العسقلانى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٧٦. السمعانى: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٣٦.

ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" ومعنى أذن الله أى استمع، وهو إشارة إلى الرضى والقبول^(١). فظهر عدد غير قليل من أشهر علماء القراءات فى مدن الصغد كانت إليهم الرحلة من طلاب العلم من أقطار العالم الإسلامى، وكانت لهم المصنفات الجليلة فى علم القراءات.

ثانيا: علم التفسير

أشرف العلوم على الإطلاق، وأولها بالتفضيل على الاستحقاق وأرفعها قدرا بالاتفاق هو علم التفسير لكلام القوى القدير^(٢). والتفسير لغة مأخوذة من الفسر وهو البيان والكشف فالتفسير بمعنى التبيين والإيضاح^(٣). ومنه قوله تعالى "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"^(٤). أى تبينا وإيضاحا فالمراد إذا بالتفسير بيان معانى وألفاظ آيات القرآن الكريم^(٥). واصطلاحا علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالة على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية^(٦)، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادئ العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل

(١) النورى: رياض الصالحين، ص ٣١٣.

(٢) الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، راجعه يوسف الغوشى، ج١، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٣

(٣) الماتريدى السمرقندى: تفسير الماتريدى المسمى تأويلات أهل السنة، تحقيق إبراهيم عوض واليد عوضين، ج١، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٣. كامل مصطفى الشيبى: الصلة بين التصوف والتشيع، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ٤٠٨. محمد أبو النور الحديدي صقر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، مكة المكرمة، ١٩٨٣، ص ١١.

(٤) الفرقان: آية ٣٣

(٥) محمد حسين الذهبى: التفسير والمفسرون، ج١، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤، ١٣.

(٦) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ط٣، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٠٠.

وغير ذلك من العلوم الجمة، والغرض منه معرفة معاني آيات القرآن الكريم، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية، وموضوعه كلام الله الذي هو منبع كل حكمه ومعدن كل فضيلة، وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه لينال به السعادة الدنيوية والأخروية^(١).

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامهم وقال عز من قال: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"^(٢). فالفاظ القرآن الكريم عربية إلا ألفاظ قليلة وكان طبيعيا أن يفهمه النبي ﷺ جملة وتفصيلا بعد أن تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"^(٣) وأنزل القرآن مجزئا في ثلاث وعشرين سنة وكان لكل آية توقيتها ومناسبتها وتلقى الصحابة تفسير القرآن المجيد، في مجالس رسول الله حيث إذا نزلت آية بينها النبي الكريم وما المراد منها، وما تشتمل عليه من حلال وحرام، وترغيب وترهيب وبشارة وإنذار ومحكم ومؤول، إلى آخر ذلك مما عرفوه من علوم القرآن وأغراضه^(٤)، وكان طبيعيا أن يتفاوت الصحابة في فهمهم للقرآن وبيان آياته ومعانيه^(٥).

ويقول ابن خلدون: "اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو ناسخا له، وكان النبي يبين المجمل ويميز

(١) محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، حلب، ١٩٥٠م، ص ٩١.

(٢) إبراهيم: آية ٤.

(٣) القيامة: آية ١٧ - ١٩.

(٤) النسخ: تفسير النسخ المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، مج ١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٩، ص ٨.

(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص ٢٨٩.

الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منقولاً عنه^(١).

أنواع التفاسير

كان التفسير يتناقل بطريق الرواية، فالصحابه يروون عن رسول الله، كما يروى بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروى بعضهم عن بعض وهذه الخطوة الأولى فى التفسير. ثم خطا التفسير خطوة ثانية بعد عصر الصحابة والتابعين، حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله وكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التى اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية. ثم خطا التفسير خطوة ثالثة عندما انفصل عن الحديث، وأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من آيات القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف^(٢)، ولم يقف التفسير عند هذه الخطوة، بل خطا بعدها خطوة رابعة لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد. والخطوة الخامسة كانت أوسع الخطأ وأفسحها حيث إنها امتدت من العصر العباسى إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصوراً على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلى بالتفسير النقلى، وكان ذلك على تدرج ملحوظ^(٣).

التفسير بالمأثور

وهو تفسير القرآن بالقرآن. قال النسفى: "هو أفضل أنواع التفسير،

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٤٣٩، ٤٣٨.

(٢) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٤١، ١٤٠.

(٣) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص١٤٦، ١٤٥.

لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام جلا وعلا من الله جل جلاله^(١). إذا فالتفسير المأثور هو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء في القرآن نفسه، وبما جاء في السنة الصحيحة وبما نقل عن الصحابة وعن التابعين^(٢). واقتصر أصحاب التفسير بالمأثور في تفاسيرهم على مجرد الرواية وقنعوا برفع هذه الراية^(٣).

التفسير بالرأى

هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر^(٤)، كعلم اللغة وعلم الصرف وعلوم البلاغة وعلم القراءات، وأسباب النزول وعلم القصص وعلم النسخ والمنسوخ، وهذه هى العلوم التى اعتبرها العلماء أدوات لفهم كتاب الله^(٥).

التفسير الإشارى وتفسير الفرق المختلفة

تناولت كل طائفة كتاب الله تفسره بما ارتضته لنفسها، فظهر كثير من التفاسير التى تنطبع فيها صور المفسرين على اختلاف مشاربهم، وتباين منازعهم، فنجد تفسير أهل السنة تظهر فيه عقيدة أهل السنة، وتفسير الشيعة

(١) النسفى: تفسير النسفى المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١، ص ٩.

(٢) محمد أبو النور الحديدى صقر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، ص ٢٩.

(٣) الشوكانى: فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، ص ١٤.

(٤) محمد حسين الذهبي: المرجع نفسه، ج١، ص ٢٥٥. محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، ص ٤٧.

(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص ٢٩٢.

محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ج١، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

تظهر فيها عقيدة التشيع وهكذا، ويمكن إرجاع هذه التفاسير إلى نوعين:
الأول التفسير الإشاري، والثاني تفسير أهل الكلام^(١). والتفسير الإشاري أو
الصوفي وهو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك
والتصوف، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر^(٢).

والتفسير الإشاري مقبول إذا توافر له ثلاثة:

✽ ألا يكون تأويلاً بعيداً يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم.

✽ ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

✽ أن يكون له شاهد من الشرع يؤيده^(٣).

والنوع الثاني تفاسير أهل الكلام وهم فرق، تناولت كل فرقة كتاب الله
تفسره بما يظاهر رأيها، وهم مع هذا مختلفون في التعصب لمذهبهم، وأهمها
تفاسير الباطنية، وهم طوائف فمنهم الإسماعيلية والسبعية، وتفاسيرهم إلحاد
وكفر لأنها تؤدي إلى نقض الشريعة والخروج عن الإسلام^(٤).

التفسير العلمي

هو نوع من التفسير يحاول أصحابه الربط بين الدلالات القرآنية
ومستحدثات العلوم^(٥).

ويطالعنا في مدن إقليم الصغد عدد "عظيم" من علماء التفسير الذين
أفنوا أعمارهم فيه، من أجل تطوره وازدهاره. ومن أشهر علماء التفسير عمر

(١) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص ٢١١، ٢١٠.

(٢) محمد حسين الذهبي: علم التفسير، ص ٧٠.

(٣) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص ٢١١.

(٤) أبو زيد شلبى: المرجع نفسه، ص ٢١٣، ٢١٢.

(٥) حسن عبد الحميد ومحمود عرفة محمود: معالم تاريخ الحضارة العربية، ص ٢٩٣.

ابن محمد بن عبد الله بن نصر البسطامي البلخي (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م) رحل في طلب العلم إلى مرو وهراة وسمرقند، وكان حسن الخلق، ظريف الجملة والتفصيل. قال السمعاني: حدثنا عنه مشايخنا^(١).

ومن العلماء البارزين في التفسير الشيخ أبو محمد أحمد عمر بن عبد الله بن محمد الهروي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) المعروف بـ "بهرهري" أي صاحب التفسير، سكن الكشانية^(٢). وعلى بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) الإمام الكبير الجامع بين أشات العلوم، نزيل سمرقند له تصانيف كثيرة منها كتاب في تفسير القرآن يقال إنه مائة وعشرون جزء كل جزء في حجم مصحف^(٣).

ويعد الإمام أبو محمد بن محمد بن محمد بن أيوب القطواني (ت ٥٠٦هـ / ١١١٢م) من أشهر علماء التفسير، كان مفسراً مشهوراً وهو أستاذ الولوالجي، لما ورد سمرقند اختص به، ويقال أنه سقط عن دابته بعد ما انصرف من صلاة الجمعة فاندقت عنقه ومات، وخلف أولاداً رأى أحدهم السمعاني^(٤). ومن كبار المفسرين أبو محمد أحمد بن يعقوب بن أحمد بن

(١) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص ١٢٥. السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٣٥٢. عماد الدين الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة أهل العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، ص ١٠٨.

(٢) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٤٨٣.

(٣) الزركشي: تشنيف المسمع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، تحقيق عبد الله ربيع وسيد عبد العزيز، ج١، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٠١. اللكنوي: الفوائد البهية، تعليق السيد محمد بدر الدين أبى الفوارس النعساني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ص ١٢٤.

(٤) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص ٤٧. الداودي: طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، ج٢، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢٣٤. السمعاني: الأنساب، ج٤، ص ٥٢٦. القرشي: الجواهر المضية، ج٣، ص ٣١٩. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٤٨٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٣٧٥.

إبراهيم بن يوسف الروزباري (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) سكن سمرقند، وكان إماما مفسرا بارعا وهو تلميذ الشيخ الهروي المفسر روى تفسيره عنه، وحدث عن أبي عبد الله طاهر بن محمد ابن أحمد الحديدي الواعظ، روى عنه أبو الحسن علي بن محمد الماتريدي^(١).

كما كان نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي السمرقندي (ت ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) من أشهر المفسرين صنف في كل علم، ومن أجل مصنفاته ما صنفه في التفسير، ومنه " التيسير في التفسير " ذكر في الخطبة مائة اسم من أسماء القرآن ثم عرف التفسير والتأويل ثم شرع في المقصود، وفسر الآيات بالقول وبسط في معناها كل البسط، كما صنف " الأكمل الأطول في التفسير " ^(٢).

ومن أئمة التفسير الكبار علاء الدين أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن حمزة الاسمندی السمرقندي (ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) كان يملئ التفسير، سمع من علي بن عمر الخراط وغيره. قال ابن الفوطي كان مدمنا للخمر وكان يقول ليس في الدنيا راحة إلا في شيئين كتاب وشراب، ثم تنسك واشتغل بأنواع الخير إلى أن توفي^(٣).

(١) السمعاني: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠١.

(٢) الدبوسي: تأسيس النظر ومعه رسالة الإمام أبي الحسن الكرخي في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية مع شواهد لأبي حفص عمر النسفي، مطبعة الإمام، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٠٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٢٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤، ص ١١٥. اللكنوي: المصدر نفسه، ص ١٥٠، ١٤٩. النسفي: العقائد النسفية، تحقيق عبد الرؤوف سعد، دار التوفيق النموذجية للطباعة، ص ٩. قيس ال قيس: الإيرانيون و الأدب العربي، مج ١، ص ٢٩٤. محمد بن محمد الشعالي الفاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تعليق عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، مج ٢، ١٩٧٧م، ص ١٨١، ١٨٠.

(٣) الداودي: طبقات المفسرين، ج ٢، ص ١٧٧. السيوطي: طبقات المفسرين، طهران، =

ومن كبار المفسرين إبراهيم بن يعقوب بن أبي نصر بن أبي النصر بن مدوسة الكشاني (ت ٥٥٣هـ / ١١٥٨م) سكن سمرقند، وتولى خطابتها نيابة عن محمود بن أحمد الساغر جي الملقب شيخ الإسلام وكان إماما بمسجد راعوم ببلخ، وكان الكشاني حسن السيرة، سمع بالكشانية أباه، وبسمرقند أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الخطيب النوحى^(١). كما كان أبو المحامد محمود بن أحمد بن الفرغ بن عبد العزيز الساغر جي السمرقندي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) إماما فاضلا بارعا، سمع بسمرقند من الحسن بن عطاء السغد، وروى عنه عبد الرحيم بن السمعاني^(٢).

ومن أئمة علماء التفسير أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن على العلوى الحسينى السمرقندى (ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) خج، وأقام فى عودته ببغداد مدة ومات بسمرقند وقيل قتل صبرا، وكان شديد النقد للعلماء والأئمة^(٣). وشيخ الإسلام الإمام برهان الدين أبو الحسن على ابن أبي بكر ابن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى (ت ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق نزيل سمرقند، كان جامعا للعلوم ضابطا للفنون، صنف فى التفسير^(٤). ومن بينهم شمس الدين محمد السمرقندى (ت ٦٠٠هـ /

= ١٩٦٠، ص ٣٥. ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب، ج ٤،

قسم ٢، ص ١٠٨٨، ١٠٨٧. القرشى: الجواهر المضية، ج ٣، ص ٢٠٩، ٢٠٨. ابن

قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٥٦. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٤٠٩.

(١) القرشى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٧، ١١٦. تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، ج ١، ص ٢٥٢.

(٢) الداودى: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) الداودى: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. القرشى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٩. الزركلى: الاعلام، ج ٧، ص ١٤٩. عمر رضا كحالة: المرجع نفسه، مج ٣، ص ٧٨٩.

(٤) برهان الدين المرغينانى: الهداية شرح بداية المبتدى، تحقيق محمد تامر وحافظ عاشور، مج ١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٨.

١٢٠٣م) صنف كتاباً في التفسير ومات قبل أن يتمه، فأتمه الشيخ أحمد بن محمود الفرغانى الأصم (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)^(١). ومحمد بن عثمان بن محمد حسام الدين العليا بادی السمرقندى (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) كان من أشهر علماء التفسير فى سمرقند له مصنفات قيمة منها " مطلع المعانى ومنبع المبانى فى تفسير القرآن فى مجلدات "(٢).

مجمل القول ازدانت مدن إقليم الصغد بالعديد من علماء التفسير البارزين الذين أسدوا للحضارة الإسلامية مؤلفات جلية أدت إلى ازدهار علم التفسير فى أرجاء العالم الإسلامى وأثرت المكتبة الإسلامية بمصنفاتهم. وجدير بالذكر أن نوه إلى أن معظم التفاسير التى وجدت فى مدن إقليم الصغد كانت تنتمى إلى التفسير المأثور ولا غرو فى ذلك لأن أصحاب هذه التفاسير كانوا من المحدثين الذين التزموا بالسند والرواية.

ثالثاً: علم الحديث

الحديث فى اللغة يطلق على الجديد، ضد القديم، ويطلق على الخبر والقصص. وعند إطلاق لفظ الحديث ينصرف إلى حديث رسول الله ﷺ، وهو ما نقل عنه من قول أو فعل أو تقرير^(٣). والجمع أحاديث وهو شاذ على غير قياس. وقوله تعالى "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"^(٤) أى بلغ ما أرسلت به، فالحديث والخبر فى اللغة مترادفان^(٥). وأطلق علماء الحديث على علم

(١) حاجى خليفه: كشف الظنون، جـ ٢، ص ٢٠٧٤.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، جـ ٢، ص ١١٢. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٤٨٣.

(٣) أحمد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى، ص ١٨٧. عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين مدخل لدراسة الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢.

(٤) الضحى: آية ١١.

(٥) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، لبنان، ١٩٦٧، ص ٧.

الحديث دراية اسم مصطلح الحديث وأصول الحديث وكلها أسماء لمسمى واحد^(١).

وعلم الحديث هو العلم الذى يقوم على نقل ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية نقلا دقيقا محررا. فموضوع علم الحديث رواية أقوال الرسول وأفعاله وتقاريره وصفاته، من حيث نقلها نقلا دقيقا، فهو يتناول ضبط كل حديث^(٢)، وذلك بالبحث فى إسناد الحديث، وفحص أحوال الرواة^(٣). وتمكن علماء المسلمين من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من ناحية، وبحسب أسانيدھا من ناحية أخرى فقسمت الأحاديث إلى حديث صحيح وحسن وضعيف^(٤). ويعتبر أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) أول من قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف^(٥).

عنى المسلمون بالحديث عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين بينت المعلن من السليم، والضعيف من الصحيح والموقوف من المرفوع والمقبول من المردود، فعليه يقوم استنباط الأحكام من السنة الطاهرة وبواسطته يتم حسن الاقتداء بالرسول ﷺ^(٦). ويقول السمعاني: "علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها"^(٧). والله سبحانه وتعالى شرف رسولنا الكريم حيث يقول "وَمَا يَنْطِقُ

(١) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص ٩

(٢) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص ٧.

(٣) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص ٣.

محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص ١٧٢.

(٤) محمد عجاج الخطيب أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٩.

(٥) ابن تيمية: علم الحديث، تحقيق موسى محمد على، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨١.

(٦) محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص ٩.

(٧) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، ص ٣.

عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى^(١). ويقول عز وجل "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ"^(٢). ويقول عز من قال "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً"^(٣).

وصنف المشتغلون بعلوم الحديث وفق حفظهم وإتقانهم:

✽ طالب الحديث: وهو من شرع في طلب الحديث .

✽ المسند: هو من يروى الحديث بسنده سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد الرواية .

✽ المحدث: وهو من يشتغل بعلم الحديث رواية ودراية ويعرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال، ويعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواته ويحفظ كثيراً من المتن^(٤).

✽ الحافظ: هو أرفع درجة من المحدث بحيث يكون ما يعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله، ويحيط بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا عليه، وهذه الرتبة لا تطلق إلا على من تبحر في هذا العلم وأوتى سعة وبسطة في معرفته وتفهمه والوقوف على دقائقه حتى ذكر الخطيب البغدادي، أنه أعلى صفات المحدثين وأسمى درجات الناقلين، من وجدت فيه قبلت أقاويله وسلم له

(١) النجم: آية ٤ .

(٢) الحشر: آية ٧

(٣) النساء: آية ٨٠

(٤) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ج١، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٤٣. الطحان محمود: تيسير مصطلح الحديث، ط٨، دار المعارف، الرياض، ١٩٨٧، ص١٧. محمد عجاج الخطيب: المرجع نفسه، ص٤٤٦.

تصحيح الحديث وتعليقه، غير أن المستحقين لها يقل معدودهم ويعز بل يتعذر وجودهم^(١).

* الحاكم: وهو من أحاط بجميع الأحاديث المروية متنا وإسنادا، وجرحا وتعديلا وتاريخا^(٢).

* أمير المؤمنين في الحديث وهو يطلق على من اشتهر في عصره بالحفظ والدراية، حتى أصبح من أعلام عصره وأئمة^(٣).

زخرت مدن الصفد بعدد لا يحصى من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتنقيحه فخدموا العلم بجدهم وصبرهم على البحث.

ومن كبار أئمة الحديث بسمرقند الحافظ المستغفرى أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز ابن المستغفر السمرقندى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) خطيب NSF، لم يكن ببلاد ما وراء النهر في عصره مثله، كان فقيها محدثا فاضلا حافظا صدوقا، له مصنفات كثيرة، منها كتاب الزيادات في كتاب المؤتلف والمختلف، وكتاب معرفة الصحابة^(٤). وأبو الحسن العربى على ابن إبراهيم ابن نصرويه بن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم أسكر بن

(١) منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعانى وكتابه التحبير فى المعجم الكبير، ص ٣٢١.

(٢) السيوطى: تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، ص ٤٣. الطحان محمود: تيسير مصطلح الحديث، ص ١٧. منيرة ناجى سالم: المرجع نفسه، ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص ٤٤٧.

(٤) جمال الدين الظاهرى الحنفى: مشيخة ابن البخارى، تحقيق عوض عتقى سعد الحازمى، ج ٣، السعودية، ١٩٩٩، ص ١٧٩٥. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٤٧. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٧٧، ٧٨. ابن ماكولا: الإكمال فى رفع الارتباب، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبى، ج ١، ص ٧.

كاك العربى السمرقندى (ت ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م) كان من أشهر علماء الحديث، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامى، فقدم بغداد حاجا وحدث بها عن محمد بن أحمد بن مت الاشتيخنى، وإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يزداذ الرازى، ولم يقض له الحج فرجع يريد خراسان، أدركه أجله فى الطريق^(١).

وبعد القاضى أبو نصر أحمد بن محمد بن حميد بن عبد الله بن الأشعث الكشانى (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م) من أبرز المحدثين، ورد سمرقند، وحدث بها فى الدار الجوزجانية عن أبى بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل البخارى، روى عنه أبو محمد إسحاق بن عمر الخطيب النوحى، وكان حاد البصر يطالع الخط بالليل بنور القمر^(٢). كما كان أبو صالح محمد بن أبى عدى بن الفضل السمرقندى (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) من أشهر المحدثين، روى عن القاضى أبى الحسن الحلبي، وأحمد بن محمد بن السمنائى، روى عنه الرازى فى مشيخته^(٣).

ومن أئمة علماء الحديث أبو الحسن على بن أحمد بن الربيع السنكباثى (ت ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) حدث بسمرقند عن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي وعن أبيه أحمد بن الربيع، روى عنه أبو القاسم عبد الله بن عمر الكشانى الخطيب وغيره، وكان أحد الأئمة والزهاد المشهورين بسمرقند^(٤). كما يعد الشيخ المسند الكبير أبو على الحسين بن أبى زيد الدباج منصور الصغدى

(١) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٣٤٢. الذهبى: المشتبه فى الرجال، ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ٨٨، ٨٧. السمعانى: الأنساب، ج ٥، ص ٧٣.

(٣) الذهبى: المصدر نفسه، ج ٣٠، ص ١٠٥.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ١٤٨. ابن نقطة: تكملة الإكمال، ج ٣، ص ٥٤٣.

(ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) من كبار علماء الحديث، سمع سفيان بن عيينة وأبا معاوية وآخرين، روى عنه الباغندي، وكان من الثقات^(١).

ومن أشهر علماء الحديث أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن حسن ابن شاهين السمرقندي (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) مسند تلك الديار عنده حديث عتيبه بعلو سمعه من ابن جابر بسماعه من محمد بن الفضل البلخي، كان واسع الرحلة سمع بسمرقند أبا بكر بن جعفر بن جابر، وأبا علي إسماعيل ابن حاجب الكشاني، قال السمعاني: "روى عنه أهل سمرقند وله أوقاف كثيرة"^(٢). وأبو الوليد الحسن بن محمد بن علي بن محمد الحافظ البلخي الدربندي (ت ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) كان من علماء الحديث البارزين واسع الرحلة، صدوق، سكن سمرقند، روى عن أبي عبد الله محمد بن أحمد وأبي عيسى بن شاذان، وأبي القاسم الحرفي، وخلق كثير، وروى عنه أبو بكر الخطيب، وعبد العزيز الكتاني وأبو علي الحداد، وآخرون^(٣).

كذلك كان الحافظ أبو الليث أحمد بن جعفر بن مدني بن عيسى بن عدنان بن محمود النسفي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م) الملقب شعبة ختن الإمام جعفر المستغفري، وهو الذي لقبه بشعبة لما رأى من حذقه وحفظه لعلم الحديث وأعجبه، سمع وهو شاب بسمرقند وحدث بها وهو شيخ كبير^(٤).

ومن كبار المحدثين الخطيب أبو نصر أحمد بن أبي بكر محمد يعرف بتيارك بن أبي عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم الخديمنكي الكرميني

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ٢٢٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ١٢٧. السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٩٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص ٣٩٤، ٣٩٣.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣١١.

(ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) قال السمعاني: سمع صحيح البخاري، وحدثنا عنه مشايخنا، وانتخب السمعاني شيئاً من سماعه من ابنه من كتاب الرقاق لمحمد بن إسماعيل، ولما دخل السمعاني مدينة كرمينية، قرأ عليه الصحيح للبخاري بسماعه عن الورقودي^(١). وأبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله الغازي الكدكي (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) من أهل سمرقند صهر الإمام عمر القراء، روى عن أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن بويه البخاري الحافظ، روى عنه أبو حفص عمر أبي بكر القراء^(٢). وأبو رجاء قتيبة بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله النسفي الحافظ (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م)، نافلة أبي العباس المستغفري، سمع الكثير بسمرقند، وأملى بها، روى عنه المستغفري وعبد الملك بن القاسم وعمر بن محمد النسفي^(٣). كذلك كان أحمد بن محمد ابن الفضل الإمام أبو بكر الفسوي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) من كبار علماء الحديث، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية فدخل نيسابور وقرأ الأصول على الإمام القشيري، وأقام بنيسابور مدة، ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند إلى أن توفي، وصار من أعيان الأئمة وذاع صيته وانتشر علمه^(٤).

كما يعد القاضي الخطيب أبو الفتح ميمون بن طاهر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني الحاجبي (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) من كبار المحدثين، حدث عن أبيه أبي أحمد، روى عنه أبو القاسم عبيد الله بن عمر الكشاني^(٥). ومن بينهم أبو محمد إسماعيل بن محمد ابن إبراهيم بن محمد

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ٢٢٣. السمعاني: الأنساب، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ٨٦.

(٣) الذهبي: المصدر نفسه، ج ٣٢، ص ١٢٦.

(٤) الذهبي: المصدر نفسه، ج ٣٢، ص ١٤٨.

(٥) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٧.

بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن نوح النسفى الإمام الخطيب (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) كان من أبرز علماء الحديث، من أهل نسف، ولد بسمرقند، سمع أبا العباس المستغفرى، روى عنه أبو حفص عمر النسفى كتب الحديث^(١).

وكان أحمد بن سليمان بن نصر بن حاتم بن الحسن الكاسانى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) قاضى القضاة زمن الخاقان أبى شجاع الخضر بن إبراهيم، حدث وأملى بسمرقند، ولم يكن محمود السيرة فى ولايته، روى عنه أبو المعالى نصر بن منصور المدينى الخطيب بسمرقند، وصار وزيرا فى عهد أحمد بن الخضر واستشهد فى أول عهده^(٢). والشيخ الإمام الحافظ المصنف الثقة أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمكويه الأصبهانى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) نزيل هراة، كان من فرسان الحديث والمكثرين منه، رحل فى طلب الحديث فسمع ببغداد من أبى محمد الخلال وطبقته، وبسمرقند من مسندها عمر بن شاهين^(٣).

وكان على بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوى (ت ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم إمام الدنيا، نزيل سمرقند، من المحدثين الكبار له تصانيف كثيرة منها "شرح الجامع الصحيح للبخارى"^(٤). ومنهم أبو الحسن بن مفوز طاهر بن أحمد بن مفوز المعافرى الشاطبى (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) نزيل سمرقند، تلميذ أبى عمر بن عبد البر

(١) القرشى: الجواهر المضية، ج١، ص ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) القرشى: الجواهر المضية، ج١، ص ١٧٢، ١٧١. الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الخلو، ج٣، الرياض، ١٩٨٣، ص ٣٥٩، ٣٥٨.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ١٧، ١٦.

(٤) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لئاج الدين السبكى، ص ٢٠١. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢٥.

وكان من أثبت الناس وأنقلهم عنه، وسمع من أبي الفتح السنكيتي السمرقندي وطبقته موصوفاً بالذكاء وسعة العلم، اشتهر بحفظ الحديث وإتقانه، وكان كثير الضبط^(١).

كما كان الحافظ أبو طاهر بن دات عبد الرحمن بن أحمد بن علك بن دات الساوي (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) أحد الأئمة بأصبهان، حمل إلى سمرقند فتفقه بها وصحب عبد العزيز النخشي وأخذ عنه علم الحديث، سمع أبا الربيع طاهر بن عبد الله الأيلاقي، وأحمد بن منصور المغربي النيسابوري، وأبا الحسين النقور وغيرهم، روى عنه إسماعيل بن محمد السمرقندي ومحمد بن علي الأسفرايني^(٢).

ومن أشهر المحدثين أبو الليث وأبو الفتح نصر بن الحسن الشاشي التنكيتي (ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) المقيم بسمرقند، رحل إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية، روى عن عبد الغافر بن محمد العدل صحيح مسلم، وعن أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب، وسمع بيلنسيه من أبي العباس العذري، وقدم أبو الفتح الأندلس تاجراً، وقال: الكنية التي كناني بها أبي أبو الليث، فلما قدمت مصر كناني أهلها أبي الفتح حتى غلبت على بمصر، قال: فلهذا سميت بهاتين الكنيتين، وحدث وروى عنه جماعة^(٣). كذلك كان الإمام الحافظ المحدث أبو علي الحسن بن عبد الملك بن علي بن موسى بن إسرافيل

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٢٢٢.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ١٠١. ابن العماد: شذرات الذهب،

ج٣، ص ٣٧٢. النسفي: الفند في ذكر علماء سمرقند، ص ٣٦٤.

(٣) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص ٢٢٤. ابن بشكوال: الصلة، ج٢،

ص ٦٠١، ٦٠٢. الذهبي: العبر، ج٢، ص ٣٥٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٧،

ص ٥٩. أبو عبد الله الدمشقي: طبقات علماء الحديث، ج٣، ص ٣٩١. ابن العماد:

شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٧٩. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص ١٤٢.

النسفي (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) من أشهر المحدثين، سكن سمرقند، وسمع الكثير من الحافظ جعفر بن محمد المستغفرى ولازمه فى رحلته، وروى الكثير ببخارى وسمرقند^(١).

ويعد أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندى القاسمى (ت ٤٩١هـ/١٠٩٧م)، إمام زمانه فى الحديث، دأب على درس العلوم إلى أن وصل إلى درجة مرموقة وخاصة فى الحديث، وكان عديم النظير فى حفظه ولزومه طريقة السلف فى سيرته ومعيشته، سمع مشايخ عصره وأكثر عن الإمام أبى العباس المستغفرى، وقرأ صحيح مسلم عن الشيخ أبى الحسن عبد الغفار أكثر من ثلاثين مرة صباحاً ومساءً، وخرج على المشايخ الفوائد والأمالى وصنف الأبواب وروى من الغرائب والأحاديث التى حصلها وجمعها وصنف كتاب "بحر الأسانيد فى صحاح المسانيد" جمع فيه مائة ألف حديث فى ثمانمائة جزء، وأتى فيها بطرق الأحاديث على اختلافها وتباين وجوهها ورواياتها، حقاً لم يقع فى الدولة الإسلامية مثله^(٢).

ومن كبار علماء الحديث أبو المعالى محمد بن محمد بن زيد بن على العلوى الحسينى البغدادى السمرقندى (ت ٤٩٢هـ/١٠٩٨م) كان من أشهر علماء الحديث، نزيل سمرقند صنف وجمع، وكان كبير القدر، كثير الأموال يرجع إلى عقل ورأى وعلم وافر، وهو أفضل علوى فى عصره، تتلمذ على

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٤٣.

(٢) أبو عبد الله الدمشقى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢٣، ٤٢٢. ابن العماد: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٤. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٧٠٣، ٧٠٢. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج ١، ص ٣٤٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ١، ص ٥٣٧. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى رجال علم الحديث، مج ٢، ص ٥٣٥. ناجى معروف: علماء النظاميات، ص ٥٢.

الخطيب ولازمه، ورزق حسن التصنيف، وأملى ببغداد وحدث بأصبهان وحدث وأملى بسمرقند، وكان من الأغنياء ينفذ في العام إلى جماعة عشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي^(١). ونصر بن إبراهيم السلطان شمس الملك (ت ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م) صاحب ما وراء النهر من أفاضل الملوك، حدث وأملى وخطب على منبرى بخارى وسمرقند^(٢). وأبو بكر محمد بن أحمد ابن ماناز بن أميرك بن شاه بن نصر بن الشعبي بن سمعان النسفى الكبتدوى (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) نزيل سمرقند، قال السمعاني: شاب حريص على طلب العلم، سمع بسمرقند الكثير من الأحاديث، واسمع، ووعظ مدة في محلة نهر القصارين، وسمع كتاب الجامع الصحيح لعمر بن محمد البجيرى، من أبى نصر بن الجبار البلدى وغيره بنسب^(٣).

ويعد أبو نصر أحمد بن المهذب بن يعلى بن مسلم بن سعيد بن الخطاب الكشاني (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) من أشهر المحدثين، حدث عن نصر بن محمد الغنجيرى، روى عنه ابنه الإمام أبو الورع عبيد الله بن أحمد الكشاني^(٤). وأبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين ابن عبد الكريم المحدث البزدوى (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) كان إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الأفاق ملأ

(١) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٢٠٩: ١٢١٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٥٢١، ٥٢٠. السيوطى: طبقات الحفاظ، تحقيق على محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٤٤٥. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١، ص ١٣٤. أبو عبد الله الدمشقى: طبقات علماء الحديث، ج٣، ص ٤٠٢: ٤٠٠. ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج٧، ص ٣٢٩٧. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج ٥، ص ١٨٨. اليافعى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص ١٣٢.

(٢) الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج ١، ص ٣٤٨.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٢٨، ٢٧. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند،

ص ١٠٤.

(٤) السمعاني: المصدر نفسه، ج٥، ص ٧٣.

الكون بتصانيفه وولى قضاء سمرقند، وأملى الحديث بها^(١). ومنهم الحاكم أبو الفوارس عبد الملك بن محمد بن زكريا بن يحيى بن بكر بن حبيب النسفى (ت ٤٩٥هـ / ١١٠١م) سكن سمرقند، سمع القاضي أبا نصر أحمد ابن محمد بن أبى نصر البلدى، روى عنه عمر بن محمد النسفى^(٢).

كما كان القاضي أحمد بن الحسين بن يوسف الخرقانى السمرقندى (ت ٤٩٩هـ / ١١٠٥م) من أبرز المحدثين، يعرف بماء اندرجيه بمعنى القمر فى الجبة، كان واعظا، سمع الحديث من السيد أبى الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينى العلوى، روى عنه عمر بن محمد النسفى^(٣). وكان أبو عبد الله محمد بن أبى الوفاء محمد بن القاسم السمرقندى (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) من كبار علماء الحديث، يعرف بقوت القلوب، سكن دمشق وسمع بها، عبد العزيز ابن أحمد بن الكتانى، حدث عنه أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الدهستانى، كانت له حلقة بالجامع الأموى بدمشق للرواية والتأديب^(٤). والإمام الخطيب أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن محمد بن أحمد الكشانى (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) كان ثقة مكثر مسند، حدث عن محمد بن الحسن الباهلى، وعلى بن أحمد بن ربيع السكبائى، وحدث عنه إبراهيم بن يعقوب الكشانى، وكان أحد الأئمة الزهاد المشهورين بسمرقند^(٥).

ومن أئمة علماء الحديث أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبى النضر البلدى الإمام المحدث المشهور (ت ٥٠٤هـ / ١١١٠م) من أهل نسف، نزيل سمرقند، كان فاضلا، من أولاد الأئمة والمحدثين، رحل إلى العديد من

(١) اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢٥.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٢.

(٣) السمعانى: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٤) ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج ٣، ص ٥٧١، ٥٧٠.

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٢٦٨.

البلاد سمع أبا العباس المستغفري، وابنه أبا ذر محمد ابن جعفر وجماعة أخرى، روى عنه أكثر من عشرين شخصاً ببخارى وسمرقند، وحدث بالكتب الكبار مثل الجامع الصحيح لأبي حفص عمر بن محمد البجيرى^(١).

أما أبو طاهر عبد الواحد بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث بن أبي بكر السمرقندى (٥٠٥هـ/١١١١م)، أخو عبد الله وإسماعيل، فكان من كبار المحدثين ولد بدمشق وسمع بها من أبي الحسين محمد بن مكى بن عثمان الأزدي وأبا الحسن بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد السلمى وغيرهما، قدم بغداد مع أخوته فسمع بها أبا محمد الصريفينى، وحدث باليسير، سمع منه أبو نصر المعمر بن محمد الأنماطى^(٢).

ومنهم أبو نصر أحمد بن أحمد المستوفى الذخكنى (ت ٥٠٦هـ/ ١١١٢م) كان من أبرز المحدثين سكن سمرقند، وحدث بها عن الشريف أبى نصر محمد بن محمد الزينى البغدادى، روى عنه أبو حفص عمر النسفى الحافظ^(٣). والقاضى أبو على الحسن بن محمد بن جعفر ابن يوسف بن عاصم بن أحمد الفقاعى السمرقندى (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حدث عن أبى نصر أحمد بن إسماعيل الكسبوى، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى^(٤). كذلك كان الإمام أبو بكر محمد بن أبى حنيفة بن عمران بن على بن عبد الكريم الاشروسنى (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) من كبار المحدثين، سكن سمرقند فى محلة درب غذاوذ، روى عن القاضى عبد الرحمن بن عبد

(١) السمعانى: الأنساب، ج١، ص ٣٩٠.

(٢) الذهمى: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ١٠٨. ابن النجار البغدادى: ذيل تاريخ بغداد، ج ١، تصحيح قيصر فرح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٥٢٩. السمعانى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٥.

الرحيم القصار الحافظ^(١). وكان أبو سهل العتابي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م) نزيل سمرقند من علماء الحديث، روى عنه أبو أحمد بن أبي سهل العتابي، قال السمعاني: حدثنا عنه مشايخنا والكهول ببخارى وسمرقند^(٢). والإمام أبو بكر محمد بن عبد المنعم بن الحسن ابن الحسين بن أنس السمرقندي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م) كان من المحدثين، من أصحاب السيد أبي شجاع، روى عن أبي عمارة بن أحمد، وروى عنه أبو حفص عمر النسفي^(٣). ومن بينهم الحاكم الإمام أبو الحسن علي بن عالم بن بكر الفاغى السمرقندي الصكاك (ت ٥١١هـ/ ١١١٧م)، روى عن أبي الحسن علي بن أحمد بن سامع السنكباثي، وروى عنه أبو حفص عمر بن أحمد النسفي^(٤).

كما يعد أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شبيب الديزكى السمرقندي (ت ٥١١هـ/ ١١١٧م) من كبار علماء الحديث، روى عن أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شاهين، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي^(٥). والإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحسين بن علي بن عمرو القطوانى السمرقندي (ت ٥١٣هـ/ ١١١٩م) روى عن أبي العباس جعفر ابن محمد المعتز السمرقندي، وروى عنه أبو حفص عمر النسفي^(٦).

ومن أشهر علماء الحديث أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن نصر بن الحسين القاضي المدينى المقاتلى (ت ٥١٤هـ/ ١١٢٠م) سكن سمرقند وهو إمام فاضل سمع عمر بن شاهين، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد

(١) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٢، ص ٤٢. السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ١٠٢.

(٢) السمعاني: المصدر نفسه، ج٤، ص ١٤٧.

(٣) السمعاني: المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٦.

(٤) ابن الاثير: المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٥. السمعاني: المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٤١.

(٥) السمعاني: المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٢٦.

(٦) السمعاني: المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٢٦.

النسفي^(١). والقاضى أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله ابن محمد بن محمد ابن الخجندى (٥١٤هـ / ١١٢٠م) سكن سمرقند وحدث بها عن أبى حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ، وروى عنه عمر بن محمد النسفى^(٢). كما كان القاضى محمد بن طاهر بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد السعيدى السمرقندى اللبىدى (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م) من علماء الحديث المشهورين، روى عن أستاذه أبى اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوى^(٣). وأبو القاسم على بن أحمد بن الحسن الصيرفى الفارسى (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م) سكن سمرقند إلى حين وفاته، وكان شيخاً ثقة صدوقاً سمع عثمان بن أبى سعيد العيار الصوفى، وأبا بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربى وغيرهما، روى عنه أبو شجاع عمر محمد بن عبد الله البسطامى^(٤). وكان الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبى الأشعث السمرقندى (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) أخو إسماعيل من أئمة المحدثين ولد بدمشق، وسمع بها من أبى بكر الخطيب^(٥) وابن طلاب، وبغداد من أبى الحسين بن النقور، وحدث عنه السلفى، وله الرحلة الواسعة، دخل نيسابور واصبهان وعنى بالحديث وله مصنفات كثيرة، وكان ذا فهم ودراية مع الإتقان والتحرى، وكان يقرأ لنظام الملك ويفيده، وخرج لنفسه معجماً فى مجلد، وكان من الثقات النقاد^(٦).

(١) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٥. السمعانى: المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٦٠.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٢٨.

(٣) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٣، ص ١٢٦. الذهبي: المشتبه فى الرجال، ج٢، ص ٥٥٧. السمعانى: الأنساب، ج٥، ص ١٢٥.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٧٤.

(٥) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى المشهور بالخطيب له كتاب المؤتلف فى تكملة المؤتلف والمختلف، أكمل به كتب عبد الغنى والدارقطنى، وله كتاب المتفق والمفترق. ابن ماكولا: الإكمال فى رفع الارتباب، ج١، ص ٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، ص ٢١٨. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٢٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٤٦٦، ٤٦٥. الصالحى: =

وأبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الجلكي الخطيب (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) من أشهر محدثين، تولى الخطابة بسمرقند أيام قدرخان، روى عن أبي القاسم عبيد الله بن عمر الخطيب، روى عنه أبو حفص عمر النسفي^(١). وأبو المظفر بهرام بن حمزة بن المبارك المرغيناني (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) نزيل سمرقند، وقال في معجمه: إنه سمع كتاب الصلاة وكتاب المناجاة وكتاب الفكر والصبر وكلها للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن بن خلف الكاشغري^(٢). كما كان الإمام أبو بكر محمد بن عثمان بن أبي بكر بن نصر السمرقندي الدباس أمير الحاج (ت ٥١٧هـ/ ١١٢٣م) من علماء الحديث، حج بأهل سمرقند مرات، روى عنه أبو الحسين بن النقور، وحدث عنه عمر بن محمد النسفي^(٣). وكان الإمام الخطيب أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله بن الحسن بن زيد بن نوح النوحى النسفي (ت ٥١٩هـ/ ١١٢٥م) من كبار علماء الحديث، ولد بسمرقند، وسمع أبا العباس جعفر بن محمد المستغفري، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، وكتب الحديث بسمرقند^(٤).

-
- =طبقات علماء الحديث، ج٤، ص٣٦. الصريفي: تاريخ نيسابور المنتخب من السياق، ص٤٥٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٤٩. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج٢، ص٢٢٦.
- (١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص٢٨٦. السمعاني: المصدر نفسه، ج٢، ص٧٢.
- (٢) العسقلاني: لسان الميزان، ج٢، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م، ص٦٥. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص١١٠.
- (٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص٤١٧، ٤١٨.
- (٤) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص٥٩. الغزى: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج٢، ص١٧٧.

كما كان الإمام علي بن أبي الطيب بن عبد الله بن أبي حفص المباركى السمرقندى (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) من أشهر المحدثين، روى عن أبي علي الحسين بن سلمان بن محمد البلخى، روى عنه عمر بن محمد النسفى^(١). والمحدث مسعود بن الحسين بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الكشانى (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) وهو والد أبى سعد ركن الدين الخطيب، روى عن الشيخ سيف الدين أبى محمد عبد الله بن علي الكندى، وروى عنه ابنه محمد الكشانى، ومحمود بن أحمد بن الفرغ الساغرجى والإمام الصدر الشهيد حسام الدين^(٢).

ومن بينهم أبو علي الحسن بن علي بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى الحنفى (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م) قال السمعانى: إمام فاضل مناظر سمع الحديث من القاضى أبى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم القصار، والقاضى أبى بكر محمد بن الحسن النسفى، وسمع منه السمعانى، وكان على طريقة السلف من طرح التكلف والقول بالحق أرسله خاقان سمرقند برسالة إلى دار الخلافة، فقبل له: لو حججت ورجعت، قال: لا أجعل الحج تبعاً لرسالتهم^(٣). والحافظ أبو علي الحسن بن علي بن محمد المفتى القطوانى السمرقندى (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م) روى عن أبى القاسم حمزة بن محمد^(٤). وكان أبو بكر عمر بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد الله الخباز

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٢، ص٤٧. السمعانى: الأنساب، ج٣، ص١١٤.

(٢) طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص٨٣. القرشى: الجواهر المضية، ج٣، ص٤٦٥، ص٤٦٦.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣٣. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥. الغزى: المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٩. القرشى: المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠.

(٤) السمعانى: الأنساب، ج٤، ص٥٢٦.

السمرقندى (ت ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) من المحدثين، خليفة إبراهيم بن إسماعيل الصفار فى الخطابة بسمرقند، روى عن طاهر بن عبد الواحد النسفى^(١). ومنهم أبو الحسن عبد المجيد بن يوسف بن شعيب أبو الحسن السلمى السمرقندى (ت ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) أحد الأئمة الكبار، روى عن أبى حمية محمد بن أحمد الحنظلى، وروى عنه عمر النسفى^(٢). وكان السيد الإمام صدر الإسلام والمسلمين أبو المكارم الأشرف بن محمد بن أبى شجاع بن أحمد بن القاسم بن حمزة بن الحسن بن على بن العباس العلوى الخرقانى السمرقندى (ت ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م) من كبار علماء الحديث بسمرقند، حدث عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن محمد النيسابورى، وأبى القاسم محمود بن أحمد الزهرى، وحدث عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى^(٣). كما كان أبو الحسن على بن أحمد بن نصر بن إبراهيم بن حمدويه ابن قطن بن فرزدق بن طرخان السلمى الحمدوى الاشتيخنى (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) من أئمة الحديث، روى عن الإمام أبى محمد عبد الملك ابن عبد الرحمن الاسيرى، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى^(٤).

ومن أشهر المحدثين أبو نصر أحمد بن الفرج بن عبد العزيز بن أبى الهيثم الساغرجى السغدى (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) حدث عن يوسف بن صالح الخطيب وغيره، روى عنه ابنه^(٥). ومنهم عمر بن سعيد بن عبد الرحيم بن أحمد الأصم الكنديكى السمرقندى (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) روى عن عبد

(١) السمعانى: الأنساب، ج٣، ص ١٥٧.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٦، ص ٨٥.

(٣) السمعانى: الأنساب، ج٢، ص ٣٤٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٩٣.

(٤) السمعانى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٦٠.

(٥) الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ج٢، ص ٧.

الرحمن بن عبد الرحيم القصارى البخارى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى^(١).

وكان أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد المطوعى الروذبارى (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م) من علماء الحديث البارزين سكن سمرقند، حدث عن أبيه حمزة بن محمد التوذيلى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى الحافظ وأبو بكر محمد بن محمد بن على الزهرى وغيرهما^(٢). كما كان أحمد بن عبد الواحد بن منصور بن نصر الافرنكىدى السمرقندى (ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م) من المحدثين الكبار، روى عن محمد بن أحمد الخمنجكى، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفى^(٣).

يعد الواعظ صابر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن على بن إسماعيل الدرغمى اليشكدىزوى السمرقندى (ت ٥٢٨هـ / ١١٣٣م) من المحدثين البارزين، روى عن أبى نصر أحمد بن الفضل ابن يحيى البخارى، وروى عنه أبو حفص عمر النسفى^(٤). وأبو بكر بن الحسين بن أبى عمرو المستوفى النيسابورى (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) كان من علماء الحديث، شيخا فاضلا سكن سمرقند، سمع أبا الفتح نصر بن على بن أحمد الحاكمى، وسمع من السمعانى، استشهد بسمرقند فى موقعة قطوان^(٥).

والإمام الحافظ المسند أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث السمرقندى (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) كان من أشهر المحدثين والرحالة

(١) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ٣، ص ١١٥.

(٢) السمعانى: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩١. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ص ٥٧.

(٣) ابن الاثير: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٤) السمعانى: الأنساب، ج ٢، ص ٤٧١، ٤٧٠.

(٥) السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٢٠.

فى عصره، سمع من شيوخ دمشق ثم قدم بغداد فسمع ابن النور
والصريفينى وسمع بالقدس من مكى الرميلى، وحدث بدمشق فى دار الحسن
بن أبى الحديد، كان ثقة قال السلفى: "ثقة له أنس بمعرفة الرجال، وقال
السمعانى: قرأت عليه الكتب الكبار والأجزاء وأملى بجامع المنصور أزيد من
ثلاثمائة مجلس فى الجمعة بعد الصلاة، وقال ابن الجوزى: انفرد بأشياخ
لم يبق من يروى عنهم غيره وكان مكثراً فيه عاش إلى أن خلت بغداد وصار
محدثها، حتى صار يطلب أجراً على التسميع بعد حرصه على التحديث،
وقال أبو القاسم: ما بقى أحد يروى معجم ابن جميع غيرى، ولا عند عبد
الهلالى، ومن تلامذته أبو طاهر السلفى، وابن عساكر الدمشقى، وأبو سعد
السمعانى^(١).

وكان نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن
على بن لقمان النسفى السمرقندى (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) من أشهر علماء
عصره، مبرزاً متقناً لكل نوع من العلم، له نحو مائة مصنف، وكان من
أصحاب الحديث، حدث عن إسماعيل بن محمد النوحى وعلى ابن الحسن
الماترىدى وأبى محمد الحسن بن أحمد السمرقندى ومهدى بن محمد العلوى
وعبد الله بن على النسفى وأبى اليسر محمد بن محمد النسفى، وحدث
بكتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار من جمعه، وروى فيه عن عامة

(١) ابن الجوزى: أعمار الأعيان، تحقيق محمود محمد الطناحى، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٦٥.
الظاهرى الحنفى: مشيخة ابن البخارى، ص ٢٠٠. ابن الصابونى: تكملة إكمال الإكمال
فى الانساب والأسماء والألقاب، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمى العراقى،
١٩٥٧، ص ٦٤. أبو القاسم إسماعيل السمرقندى: ما قرب سنده من حديث، تحقيق
عطاء الله بن عبد الغفار بن فيض أبى مطيع السندى، ١٩٩٤، ص ٥ - ٨. ابن الملقن:
العقد المذهب فى طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الازهرى سيد مهنى، دار
الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٨٠.

مشايخه ومستجازاته ومتناولاته عن جميع مشايخه، قال: وهم خمسمائة وخمسون رجلاً. وقام " بشرح كتاب صحيح البخارى وسماء النجاح فى شرح كتاب أخبار الصحاح "، وذكر أنه خرج تسعة وعشرين حديثاً عن تسعة وعشرين شيخاً كل شيخ حديث، أجاز للسمعاني جميع مروياته، وروى عنه ابنه أبى الليث أحمد بن عمر^(١).

ومن علماء الحديث أبو الخير دلف بن عبد الله بن محمد بن عمر بن التبان البغدادي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) نزيل سمرقند، له رحلة واسعة إلى بلدان العالم الإسلامي، صاحب عبد القادر الجيلي وسمع من الحافظ ابن ناصر وسعد بن الخير بن محمد الأنصاري وغيرهم، وسمع بسمرقند من محمد بن نصر بن منصور المدني ومحمود بن على النسفي، وحدث بها، وروى عنه أبو المظفر بن السمعاني فى مشيخته وأبو بكر الفرغاني خطيب سمرقند^(٢). وأبو بكر محمد بن نصر بن محمد بن منصور بن على بن محمد بن يعلى بن الفضل بن طاهر بن سلمة بن علقمة بن علاء العوفي العامري (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) من علماء الحديث، بسمرقند، كان إماماً زاهداً سمع أبا الحسن بن عبد الملك بن الحسين النسفي والملك العالم وأبا الفتح نصر بن إبراهيم الخاقان وغيرهم، قال السمعاني: سمعت منه كتاب دلائل النبوة لأبى العباس المستغفري الحافظ بروايته عن أبى على النسفي^(٣).

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٢٦. ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج ٤، ص ١١٥. عماد الدين الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٢٠. ابن فضل الله العمري: ممالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ج ٦، ص ١٠٣، ١٠٤. النسفي: العقائد النسفية، ص ٩. قيس ال قيس: الإيرانيون والأدب العربى، مج ١، ص ٢٨٧، ٢٨٨. محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي: الفكر السامي فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج ٢، ص ١٨٠.

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ١٤، ص ٢٧.

(٣) السمعاني: التخيير فى المعجم الكبير، ج ٢، ص ٢٤٥.

كما كان أبو الحسن علي بن محمد بن حمزة بن محمد الفلكي الأصبهاني (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) شيخ صالح سديد السيرة حافظ القرآن الكريم قال السمعاني: قدم علينا سمرقند وذكر لي أنه سمع كتاب الحلية لأبي نعيم الحافظ عن أبي علي الحسن بن أحمد الحداد عنه، وقال: سمعت كتاب المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني بروايته عن أبي علي الحداد وسمع مع السمعاني الحديث بمكة ثم عاد من سمرقند إلى وطنه^(١). وأبو المحامد محمود ابن أحمد ابن الفرج الساعرجي (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) محدثا وفقها عارفا بالسنن، صار شيخ الإسلام بسمرقند، وكان فاضلا مفتيا مصيبا، حسن السيرة، عارفا بالمتفق والمختلف، كثير العبادة تفقه على البرهان ببخارى وسمع الحديث منه، ومن جماعة ببخارى وسمرقند، قال السمعاني: سمعت منه الكثير بسمرقند مثل كتاب "تنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي بروايته عن الخطيب التنوخي عن حفيد الترمذي عنه، وذكر للسمعاني قائلا إنني: أول ما كتبت الحديث كان في سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٧م^(٢). وكان أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العلوي الحسني السمرقندي (ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) من أبرز علماء الحديث، حج وأقام في عودته مدة في بغداد، وكان شديد النقد للعلماء والأئمة، وله مصنفات كثيرة^(٣). وأبو محمد عمر بن أحمد بن أبي الحسن المرغيناني الفرغاني (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) نزيل سمرقند، كان إماما ورعا متواضعا سمع وحدث بسمرقند^(٤).

-
- (١) السمعاني: الأنساب، ج٤، ص ٤٠٠.
(٢) الداودي: طبقات المفسرين، ج٢، ص ٣٠٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص ٤٣٤. السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ١٩٨، ١٩٩. ابن قطلوبغا: تاج التراجم في من صف من الحنفية، ص ٢٤٥، ٢٤٦.
(٣) الداودي: المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. القرشي: الجواهر المضية، ج٣، ص ٤٠٩. الزركلي: الأعلام، ج٧، ص ١٤٩.
(٣) الاسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص ١٣٤. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٤١.
(٤) القرشي: المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٦.

ومن كبار المحدثين أبو ثابت الحسن بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد النسفي البزدوي (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م) ولد بسمرقند، رحل إلى العديد من البلدان الإسلامية، سمع السمعاني منه "المسند الكبير" لعلي بن عبد العزيز في ثلاثين جزءاً (٤). كما كانت أم الحسن كمال بنت عبد الله بن أحمد السمرقندي (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) من أشهر علماء الحديث، وهي زوجة المحدث عبد الخالق اليوسفي، حدثت عن أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعالي وطراد بن محمد الزيني مسند العراق، وحدث عنها إبراهيم بن برهان النساج، وقرأ عليها الجزء الثاني من أمالي إسماعيل المحاملي وسمع عليها الجزء السادس والسابع والثامن من حديث المحاملي بسماعها من عمر بن علي الطوسي (١).

ويعد أبو الفتح عبد الرشيد بن أبي حنيفة النعمان بن عبد الرزاق بن عبد الملك الواججي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) نزلي سمرقند، من علماء الحديث المشهورين، له رحلة واسعة إلى العديد من البلدان الإسلامية (٢). وأبو الفضائل محمد بن عبد الله بن أبي يعمر بن تمام بن الحارث النسفي السمرقندي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) نشأ بسمرقند وسكنها، كان من أهل العلم وبيت الحديث ووالده كان من الحفاظ، سمعه عن جماعة من الشيوخ، وحصل له الإجازة عن شيوخ ما وراء النهر والعراق، سمع أبا القاسم عبيد الله بن محمد بن محمد الكشاني الخطيب وأبا إبراهيم إسحاق بن محمد النوحى وغيرهم وكانت له إجازة من أبي علي الحسن بن عبد الملك النسفي (٣).

(١) الذهبي: المشتبه في الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، ج١، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٣٥. عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩، ج٤، ص ٢٦٢.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص ٣٥١.

(٣) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج٢، ص ١٤٦.

كما كان أبو سعد عبد الكريم السمعاني بن الحافظ تاج الإسلام معين الدين أبي بكر محمد ابن العلامة أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر المروزي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) من أشهر علماء الحديث، له الرحلة الواسعة إلى الآفاق، وطاف بمختلف مدن ما وراء النهر، وصحب معه ابنه أبا المظفر عبد الرحيم، وسمع بجميع هذه البلاد، وسمع بها ابنه، ودخل سمرقند مرتين، والتقى بعدد كبير من مشايخ سمرقند وكذلك بالعلماء الوافدين عليها وأخذ عنهم الحديث، وكان للسمعاني مجالس إملاء في سمرقند، وكان ثقة، روى عنه ابنه عبد الرحيم مفتى مرو^(١).

ومن أشهر علماء الحديث أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله ضياء الإسلام البسطامي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) من أهل بلخ وسكن سمرقند، كان أستاذ صاحب الهداية، له إجازة عالية ويد باسطة في جميع العلوم، وكان فقيها حافظا محدثا، واسع الرحلة في طلب الحديث إلى مرو وبلخ وهرات وبخارى وسمرقند، سمع من السمعاني^(٢). ومن بينهم على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) سمع منه السمعاني، له مصنفات كثيرة أهمها كتاب المشافهات^(٣) وأبو المظفر بن أبي محمد هبة الله ابن عبد الله بن أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندي الأصل (ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) من بيت الحديث والرواية، سمع ابن طلحة النعالي وأبا

(١) البخارى: التاج المكلل، تعليق عبد الحكيم شرف الدين، ط ٢، المطبعة الهندية العربية، ١٩٦٣، ص ٧٦. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ١٨١، ١٨٠. السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ١٠ الصالحى: طبقات علماء الحديث، ج ٤، ص ٩٢ - ٩٤. زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ص ٦٨. منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام السمعاني وكتابه التحجير، ص ٣٠٧.

(٢) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج ١، ص ١٢٦، ١٢٥. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٥٠.

(٣) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٤٠٤.

محمد السراج، وسمع منه أبو سعد السمعاني، وروى عنه جماعة^(١). وكان أبو محمد سراج الدين علي بن عثمان الاوشى الفرغانى (ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) من المحدثين المشهورين، حدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، سمع منه طبقات أبى بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند أنس بن ملك بإسناد واحد، ثم رحل إلى سمرقند، وسمع بها جامع الترمذى إجازة من العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندى، وغريب الحديث لأبى عبيد، كما سمع صحيح البخارى عن الإمام ظهير الدين أبى المحاسن حسن بن على بن عبد العزيز البخارى، وصنف سراج الدين مصنفات جيدة فى الحديث^(٢).

فضلا عن الشيخ المحدث أبو نصر شعيب بن الحسن بن محمد بن شعيب السمرقندى الأصل الأصبهانى المولد (ت ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) سمع من الشريف أبى الحسين بن هاشم بن طاهر بن طباطبا العلوى، وأم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية^(٣). والشيخ أبو محمد إسماعيل بن الحسين بن يعقوب البغدادى الحربى المعروف بابن اللبائى السمرقندى (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) كان من كبار علماء الحديث، سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي ابن أحمد، وحدث، قال المنذرى: لنا منه إجازة^(٤).

صفوة القول اهتم علماء المسلمون فى مدن إقليم الصغد بالحديث ولا سيما فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، وظهر عدد عظيم من علماء الحديث الذين أفنوا أعمارهم فى تصنيفه وضبطه وتنقيحه، وكان لهؤلاء

(١) الذمى: المصدر نفسه، ج ٣٩، ص ١٨٣.

(٢) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والادباء العرب والمسلمين، ج ٢، ص ٥٦٣، ٥٦٤.

(٣) الذمى: تاريخ الإسلام، ج ٤٢، ص ٩١. المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، مج ١، ص ٢٦٥.

(٤) المنذرى: المصدر نفسه، مج ٣، ص ٨٨، ٨٩.

العلماء فضل " كبير" فى النهضة العلمية فى شتى العلوم وبالأخص فى علم الحديث، وليس ذلك فى إقليم الصغد فحسب بل فى أرجاء العالم الإسلامى.

رابعاً: علم الفقه

يسمى بعلم الدراية، وهو معرفة النفس ما لها وما عليها^(١). والفقه فى اللغة العلم بالشىء والفهم له والفطنة^(٢). قال تعالى " فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا"^(٣) وقال عز وجل " وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي"^(٤). أى يعلمون المراد منه ويفهمونه. وقال ﷺ "من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين"^(٥). وفى الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وهو مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل^(٦).

(١) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، مدخل لدراسة الاتجاهات عند أصحاب الحديث، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١١. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية، ص ١٨٠.

(٢) الغزالى: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، ج١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٥. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح الجوامع فى أصول الفقه، تحقيق حميد حمانى اليوسفى، ج١، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص ١٦٧. حسين حامد حسان: أصول الفقه، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣.

(٣) النساء: آية ٧٨

(٤) طه: آية ٢٧-٢٨

(٥) البخارى: صحيح البخارى، ج١، ص ٢٧.

(٦) الحسين بن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، ج١، ص ١٩١، ١٩٢. الغزالى: المستصفى من علم الأصول، ج١، ص ٣٥. النسفى: العقائد النسفية، ص ١٦. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح الجوامع فى أصول الفقه، ج١، ص ١٦٨. حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص ٣. حنا الفاخورى و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج١، ط ٢، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٣٣.

تجدر الإشارة هنا أن الإسلام لم يهتم بتصحيح عقيدة الإنسان وفكرته عن خالقه فحسب، وإنما سعى أيضا إلى التوفيق بين أشواق الروح ونوازع الجسد، فاهتم بالحياة التي يحيها الناس على الأرض ووضع الضوابط التي تحكم مختلف النشاط الإنساني وتنظم علاقة الإنسان بخالقه وبالأخرين من بنى جنسه^(١). قال ابن خلدون: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والسندب والكراهة والإباحة، وهي ملتقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"^(٢).

ويعتبر الفقه الإسلامى ضربا فريدا بين التشريعات والقوانين التي عرفها العالم حتى الآن، سواء من ناحية الأسس التي قام عليها أو المقاصد أو الغايات التي استهدفها، والأحكام والحلول التي جاء بها على مر العصور^(٣). والفقه بهذا المعنى يعد منار الأحكام والمميز بين الحلال والحرام، به تصح العبادات وتنظم أمور المعاملات^(٤). ويشير إلى ذلك قوله تعالى "مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"^(٥).

(١) عبد الستار الحلوجي: دراسات في الكتب والمكتبات، ص ٩-١٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج١، ص ٤٤٥. محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، ص ٢٤٩.

(٣) الشاشي: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق ياسين أحمد إبراهيم درادكة، ج١، عمان، ١٩٨٨م، ص ١٥.

(٤) أحمد بن يحيى بن المرتضى: كتاب الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار وولييه كتاب جواهر الأخبار والآثار للعلامة المحقق محمد بن يحيى بهران الصعدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٢م.

(٥) التوبة: آية ١٢٢.

وبطبيعة الحال لم ينشأ الفقه الإسلامى فجأة وإنما استغرق وقتاً طويلاً، ومر بعدة مراحل حتى بلغ كماله. أما الأطوار التى مرّ بها الفقه فهى كالتالى:

الطور الأول: وهو طور النشأة، وكان فى حياة رسول الله ﷺ وانتهى بوفاته عليه الصلاة والسلام. وكانت سلطة التشريع والفتوى والقضاء بيد رسول الله وحده، ولم يترك عليه الصلاة والسلام فقها مدونا وإنما ترك جملة من الأصول والقواعد الكلية والأحكام الجزئية مثبتة فى القرآن والسنة^(١).

الطور الثانى: وهو طور الشباب أو الاجتهاد، وبدأ هذا الطور فى عهد الخلفاء الراشدين حينما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وتفرق الصحابة فى الأمصار وكثر التحديث عن رسول الله، والتعمق فى استنباط الأحكام من القرآن، واتسعت أبواب الاجتهاد، وبدأ الفقه يتميز ويتكون، وأصبح اختصاصاً يقصر العلماء جهودهم عليه^(٢).

كان لكثرة التحديث عن رسول الله أن زاد الشك فى صحة هذه الأحاديث فاتجه بعض الفقهاء إلى الاجتهاد بالرأى ولذلك ظهرت نزعتان فى الفقه.

✽ نزعة أهل الحديث، وكانت بالمدينة وشيوخها هم مالك بن أنس ومن جاء بعده من أتباعه.

✽ نزعة أهل الرأى والقياس وكانت بالعراق، وشيوخها هم أصحاب أبى حنيفة ومن جاء بعده من أتباعه^(٣). وغلب على أهل الحديث جانب الرواية لكون المدينة موطن الصحابة ومكان الوحي. وكان أهل الحديث يقبلون

(١) عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية للمحدثين، ص ١٢.

(٢) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢١٨، ٢١٩.

(٣) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، السعودية، ١٩٩٦، ص ٢٦.

فى بناء أحكامهم كل الأحاديث ويقدمون الحديث الضعيف على الاجتهاد بالرأى. وغلب على أهل الرأى جانب الرأى لعدم توافر أسباب الرواية لديهم، لكثرة الفتن والوضع^(١).

الطور الثالث: وهو طور النضج والكمال والتدوين، أو عصر المذاهب الفقهية، وبدأ هذا الطور من أوائل القرن الثانى إلى منتصف القرن الرابع، وبلغ الفقه فيه الأوج فى الاجتهاد والتدوين والتفريع المذهبى .

والطور الرابع بدأ من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السابع، وفيه نشطت حركة التحرير والتخريج والترجيح فى المذاهب مع غلبة التقليد والتعصب^(٢).

ويعد العصر السلجوقى نقطة فاصلة فى تاريخ التشريع الإسلامى، حيث توقف الاجتهاد وحصر الفقهاء أنفسهم حول مذاهبهم واستندوا فى أحكامهم على ما يجدونه فى مذاهب أئمتهم والتزم كل منهم مذهباً معيناً لا يتعداه، وضعفت عزائمهم واكتفوا بالمحاكاة والتقليد، وتعصب كل واحد لمذهبه. واقتل العلماء على المذاهب وانصرفوا عن الاجتهاد، ووقفوا عند هذا الحد لا يستظهرون غير المتون، واقتصر عملهم الفقهى على فهم كلام الأئمة أو تفريغ قواعدهم، وعمل الحواشى والتعليقات على كتبهم^(٣).

عمل العلماء فى العصر السلجوقى على جمع الآثار ورجحوا بين الروايات وخرجوا على الأحكام، وبنوا فتاويهم على شتى المسائل والفروع من

(١) أبو زيد شلبى: المرجع نفسه، ص ٢١٩، ٢٢٠. روم لاندو: الإسلام والعرب،

ص ١٩٢، ١٩٣. محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: المرجع نفسه، ص ٢٦.

(٢) أبو زيد شلبى: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٢٠. عبد المجيد محمود: المدرسة الفقهية

للمحدثين، ص ١٢.

(٣) مريزن سعيد مريزن: الحياة العلمية فى العراق، ص ٣٣٨.

أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم وتشددوا في الالتزام، وكان من نتائج ذلك ظهور التعصب المذهبي، حيث خاضوا في ميدان الجدل والمناظرة في مجالس علمية، كان يحضرها العلماء الأجلاء وأدلو فيها بالبراهين والحجج، وألفوا كتب الخلافات، وجمعوا فيها أحكام الأئمة وأدلتهم، ونصر كل إمامه، ودعم رأيه وخطأ أدلة مخالفيه من علماء المذاهب الأخرى^(١). والمتتبع للحركة الفقهية في العصر السلجوقي ولا سيما في مدن إقليم الصغد يجد أنه يكاد يقتصر على المذهبين الحنفي^(٢) والشافعي^(٣). وكان الفقهاء أكثر العلماء

(١) مريزن سعيد مريزن: المرجع نفسه، ص ٣٣٩.

(٢) المذهب الحنفي نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، كان إماما ورعا عالما فاضلا متعبدا. قال الشافعي: الناس عيال على أبي حنيفة*. وكان أبو حنيفة وأتباعه أول من نظم توسع الشريعة، وعرف الأحناف بأنهم محررو التشريع الإسلامي لأنهم اعتمدوا على القياس الذي استجمعوه من القرآن وقللوا الاعتماد على الحديث، واصطنع أبو حنيفة هذه الطريقة لتوسيع نطاق القانون لأن وضع الحديث الكاذب شاع في تلك الفترة، ومن ثم قام مذهبه على التشدد في قبول الحديث والتحرى عنه وعن رجاله، حتى أنه كان لا يقبل الخبر عن رسول الله إلا إذا رواه جماعة عن جماعة عن جماعة*.

* عبد العزيز ولي الله الدهلوي: بستان المحدثين في بيان كتب الحديث، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٦٥.

** سيد مرتضى: تبصرة العوام في مقالات الأنام، تهران، ١٣١٣، ص ٨٩، روم لاندو: الإسلام والعرب، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) المذهب الشافعي نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس القرشي المطلبى الشافعي المكي المتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م نشأ بمكة وأقبل على العلوم فتفقه بمذهب مالك وغيره، وجمع بين منهجي أهل الحديث وأهل الرأي، واستطاع الشافعي أن يضع للفقهاء أصولا للاستنباط وقواعد للاستدلال، وضوابط للاجتihad. سيد مرتضى: تبصرة العوام في مقالات الأنام، ص ١٤٣. عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، ج ١، القاهرة، ١٣١٥، ص ٤٣. عبد العزيز ولي الله الدهلوي: بستان المحدثين في بيان كتب=

تلاميذ، وكان ذلك طبيعياً لأن الفقهاء يعلمون العلم الذى يؤهل أصحابه لتولى مناصب يعيشون منها^(١)، فكان لا بد لمن يريد تولى القضاء والخطابة فى المساجد من التلمذ عليهم^(٢).

ظهر خلال العصر السلجوقى فى مدن إقليم الصغد عدد عظيم من فحول علماء الفقه الذين افنوا أعمارهم فى تصنيفه وضبطه، وأسدوا للثقافة الإسلامية خدمات جليلة بجدهم وصبرهم على البحث ورحلتهم إلى منابع العلم يأخذونه من أهله حيث كان. ومنهم القاضى العلامة أبو زيد عبيد الله ابن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) كان شيخ الحنفية بما وراء النهر عالماً فقيهاً حسن السيرة، انتهت إليه رئاسة مذهب أبى حنيفة فى زمانه^(٣).

وكان الحاكم أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الحسن الاسترابادى (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) من كبار أئمة الحديث بسمرقند، يعنى أئمة الشافعية، وعرف أهل تلك البلاد أنه إذا أطلق أصحاب الحديث لا يفهم منه غير الشافعية. قال السلفى: "كان له الدرس والفتوى ومجلس النظر والتوسط، ومع ذلك كان يقرأ كل يوم ختمة مع الكتابة فى أكثر النهار ولا يشغله أحدهما عن الآخر، واشتهر بين الفقهاء بزهده وفضله^(٤)". والشيخ الإمام

=الحديث، ص ٦٧، ابن قاضى شهبه: طبقات النخاة واللغوين، بغداد، ص ٦٢. محمد ابن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، دار ابن الجوزى، السعودية، ١٩٩٦، ص ٢٧.

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) آدم متز: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٧٦، ٧٧. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٥٢١.

(٤) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج ١، ص ٥٣. ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محى الدين على نجيب، ج ٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢، =

الخطيب الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي السمرقندي المستغفري خطيب نسف (ت ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) لم يكن ببلاد ما وراء النهر في عصره مثله، رحل في طلب العلم إلى خراسان، وأقام بسرخس ومرو مدة، جمع الجموع وصنف التصانيف القيمة منها: كتاب طب النبي، الدعوات، معرفة الصحابة، فضائل القرآن دلائل النبوة، الشمائل، المناومات^(١).

ويعد أبو اسحق محمد بن منصور بن مخلص النوقدي (ت ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) من أشهر الفقهاء، زميل الفقيه أبي الليث السمرقندي، ودرس على أستاذه أبي جعفر الهنداوي، واشتغل بالتدريس والفتوى وصار مفتيا بسمرقند^(٢). والعلامة المفتي أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه بن سختم السمرقندي الخطيب (ت ٤٤١هـ / ١٠٤٩م) كان من أهل العلم والتقدم في الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان يذكر أنه من العرب، وأدركه أجله بطريق مكة قريبا من كربلاء^(٣). وأبو علي محمد بن الوليد السمرقندي الحنفي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان من أبرز الفقهاء ببلاد ما وراء النهر، من مؤلفاته الجامع الأصغر في الفروع، ومجموع الفتاوى^(٤).

=ص ٦٠١. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، ج ١، ١٩٩٣، ص ٣٩٦. النوى: مختصر طبقات الفقهاء، تحقيق عادل عبد الموجود وعلى معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٠٣، ٥٠٤. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٥٤٥.

(١) القرشي: الجواهر المضية، ج ٢، ص ١٩. السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، مج ٤، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٨٣. النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ١٧.

(٢) أبو الليث السمرقندي: خزنة الفقه، مج ١، ص ٥٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٦٠٥، ٦٠٤. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٦٦. القرشي: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣٣، ٥٣٤.

(٤) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ٧١.

كما يعد شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن حسين بن محمد السغدري (ت ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م) من أئمة علماء الفقه، كان إماماً فاضلاً وفقياً مناظراً، سكن بخارى، وتصدر للإفتاء، وولى القضاء، وانتهت إليه رئاسة الحنفية، ورُحل إليه في النوازل والواقعات، أخذ الفقه عن شمس الأئمة السرخسي وروى عنه شرح السير الكبير، ومن تصانيفه التتف في الفتاوى، شرح الجامع الكبير للشيباني في فروع الفقه الحنفي^(١). وعبد العزيز بن عبد الرزاق بن أبي نصر ابن جعد بن سليمان بن متكان المرغيناني (ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) نزيل سمرقند، كان له ستة بنين كلهم يصلح للتدريس والفتوى، فإذا خرج مع أولاده قالوا سبعة من المفتين خرجوا من دار واحدة، سمع الإمام أبا الحسن نصر بن الحسن المرغيناني وغيره، روى عنه أولاده^(٢).

ومن أئمة علماء الفقه القاضي أبو نصر أحمد بن نصر الاسييجابي (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) أحد شراح مختصر الطحاوي، كان من المتبحرين في الفقه، سكن سمرقند وجلس للفتوى وصار المرجع إليه في الوقائع وانتظمت له الأمور الدينية وظهرت له الآثار الجميلة، وجد بعد وفاته صندوق له فيه فتاوى كثيرة كان فقهاء عصره أخطؤوا فيها، فوقعت عنده فأخفاها في بيته لئلا يظهر نقصانهم، وما تركها في أيدي المستفتين لئلا يعملوا بغير الصواب، وكتب أسئلتهم ثانياً وأجاب على الصواب، لكن الاسييجابي لم يجمع المسائل

(١) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٩٢٩-٩٣٠ تاريخ، ميكروفيلم ١٧٨٧، ص ٣٧. ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢١. إسماعيل باشا: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٤٨. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ترجمة عبد الحليم النجار، ط ٥، دار المعارف. القاهرة، ص ٢٨٧.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٢٦٠.

الفقهية في مؤلف، فقام الفقيه الحافظ أحمد بن منصور الطبري المتوطن بسمرقند بجمعها على غاية من التطويل، وهو في كل ذلك مفيد^(١).

وكان فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم ابن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوى المدرس بسمرقند (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) إمام أصحاب أبي حنيفة ببلاذ ما وراء النهر يضرب به المثل في حفظ المذهب وطريقته مفيدة، من مؤلفاته شرح الجامع الصغير للشيباني في الفروع، شرح الجامع الكبير، شرح زيادة الزيادات للشيباني، غناء الفقهاء في الفروع، سيرة المذهب في صفة الأدب^(٢).

كما كان أبو القاسم علي بن المظفر بن زيد بن حمزة بن محمد العلوي الحسيني بن أبي يعلى الدبوسي (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) من كبار أئمة الشافعية، وهو من ذرية الحسين الأصغر ابن زين العابدين بن علي بن الحسين، متوحدا متفردا في الفقه، وكان حسن الخلق والخلق سمحا جوادا كثير المحاسن فطنا في الاجتهاد، وكان موقفا في الفتوة، قدم بغداد وولى التدريس بنظامية بغداد، وأغلب الظن أن سبب تعيينه كان بعد نجاحه في المناظرة التي عقدت بينه وبين أبي المعالي الجويني أمام الوزير نظام الملك في أصبهان وتفوقه فيها على منافسه، تفقه عليه جماعة من البغداديين، ومن الغرباء وأملى ببغداد مجالس، سمع أبا عمر بن عبد العزيز القنطري، وروى عنه عبد الوهاب

(١) القرشي: الجواهر المضية، ج١، ص ٣٣٦، ٣٣٥. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٥٤.

التميمي: الطبقات السنية، ج٢، ص ١١٢، ١١١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٦٠٢، ٦٠٣. الزركشي: تصنيف الماسع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ج ١، ص ٢٠١. السلفي: معجم السفر، تحقيق شبر محمد زمان، ج ٣، إسلام آباد، باكستان، ١٩٨٨م، ص ٥٠٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ٤٣٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٥. النفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٥٥٤. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٢٨٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٢٦٣.

الانماطى، وأبو الفضل محمد بن أبى الفضل المسعودى وآخرون^(١). وشيخ الإسلام خواهر زاده - ابن أخت العالم - أبو محمد بن الحسن البخارى السمرقندى (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) وابن أخت القاضى أبى ثابت محمد بن أحمد البخارى، كان شيخ الأحناف ببلاد ما وراء النهر، وطريقته أبسط طريقة للأصحاب، أخذ عن خاله أبى ثابت وعن أبى الفضل منصور بن نصر الكاغدى، وروى عنه أبو عمر عثمان بن على بن محمد البيكندى ومن مؤلفاته: المختصر، التجنيس، المبسوط^(٢).

يعد الإمام أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن علك الساوى الشافعى (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) أحد أئمة الفقه المشهورين، تفقه بسمرقند وصحب عبد العزيز النخشبى، وأخذ عنه علم الحديث، رحل فى طلب العلم إلى العراق والحجاز وسمع أبا الربيع الايلاقى، وسمع منه إسماعيل بن السمرقندى، وشيع نظام الملك جنازته وجمع من الأكابر، وكان أبوه أمير الحجاج قدم أصبهان وكتب عن جماعة، قال شيوخ عصره لم ير فقيه" فى وقته أنصف منه^(٣).

(١) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج١، ص ٤٩٠. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٢٩. ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٥٠. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٩١ - ٩٣. السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص ٨١٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٢، ص ٤٨٣. أحمد تيمور باشا: ضبط الأعلام، ص ٨٢، ٨٣. عبد الهادى محمد رضا محبوبه: نظام الملك، ص ٣٧٥.

(٢) حسين الديار بكري: تاريخ الخميس، ج٢، ص ٣٦٠. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٨. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٤٦٦. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مع ١، ص ٣٤٤.

(٣) الاسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص ٣٣٠، ٣٣١. ابن الجوزى: المصدر نفسه، ج٩، ص ٥٨، ٥٩. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص ١٢٧، ١٢٨. الصفدى: الوافى -

وكان العلامة شيخ الحنفية أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩) إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، انتهت إليه رئاسة الحنفية في بلاد ما وراء النهر، وولى قضاء سمرقند، وتبوء عدد من أفراد هذه الأسرة القضاء مما يدل على شهرتهم وتميزهم لاسيما أن رئاسة الحنفية كانت في أيدي هذه الأسرة، ودرس أبو اليسر محمد البزدوى الفقه على أيدي كبار علماء عصره وكان إمام الأئمة كثير التصانيف في الفقه الحنفى، تفقه عليه علاء الدين محمد السمرقندى، كثرت تصانيفه في الفقه الحنفى، ومنها: المبسوط في فروع الفقه في مجلدات، وطلبة الطلبة، وكتاب فيه معرفة الحجج الشرعية^(١). وأبو الحسن إدريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) كان من أهل الرملة بفلسطين، تفقه على أبى الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى وعلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى، رحل فى طلب العلم إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وفوض إليه التدريس بها لأصحاب الشافعى، وكان علماء سمرقند يفخمون أمره ويذكرونه بالتعظيم، ويهابون الكلام معه فى المسائل لفصاحته

=بالوفيات، ج١٨، ص ١٠٦. ابن الصلاح: المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٣٨. ابن كثير: طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٢، ص ٤٨٢. النسفى: المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

(١) البزدوى: كتاب فيه معرفة الحجج الشرعية، تحقيق مارى برناند وايريك شومون، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٦. القرشى: الجواهر المضية، ج٤، ص ٩٨، ٩٩. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢٥. بلقاس الغالى: أبو منصور الماترىدى، توبس، ١٩٨٩، ص ١٩. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در ايران، جلد دوم، ص ٢٦٣. الزركلى: الأعلام، ج٧، ص ٢٢. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج٣، ص ٤١٠.

وفضله وحرمة^(١). ومحمد بن عبد المنعم بن حسن بن انس السمرقندى بن الفقيه (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م) من كبار الفقهاء، تفقه على السيد أبى شجاع بن حمزة العلوى، سمع أبى عمار بن أحمد، وروى عنه عمر النسفى^(٢).

وكان الفقيه شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الأنصارى الجابرى (ت ٥١٢هـ / ١١١٨م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر وعالم تلك الديار، وكان يضرب به المثل فى حفظ مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة، حتى سمى أباً حنيفة الأصغر، وكان تلميذ أبى محمد عبد العزيز الحلوانى^(٣). وقاضى القضاة أبو بكر محمود بن مسعود بن عبد الحميد الشيعبى البوزجندى (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) نزيل سمرقند، قال النسفى: كان إماماً فاضلاً مفتياً مناظراً متميزاً، تفقه على شمس الأئمة السرخسى^(٤).

وكذلك كان الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن فاعل السرخسكى الفقيه الحنفى (ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م) من الفقهاء البارزين، تفقه بسمرقند ثم ببخارى وكانت له يد قوية فى النظر وباع طويل، وكان من مناظرى البرهان وخصومه ببخارى، سمع أبى المعالى محمد بن محمد بن زيد الحسينى، وروى عنه كثيرون^(٥). وأبو المؤيد محمد بن عبد الخالق بن محمد القاضى بن أبى

(١) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، ج٩، ص ١٤٢. ابن الجوزى: المتنظم، ج٩، ص ١٦٧، ١٦٨. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص ٧٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٢. عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص ١٩٠.

(٢) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١٠، ٢١٨، ٢١٧. اليافعى: مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٠٣.

(٤) القرشى: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٥١. النسفى: القند فى ذكر علماء سمرقند، ص ٧٠٤.

(٥) ابن الاثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج٢، ص ١١٣. السمعانى: الأنساب، ج٣، ص ٢٤٥. القرشى: الجواهر المضية، ج٣، ص ١٩١، ١٩٢ إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص ٨٤.

بكر (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) كان من علماء الفقه البارزين، ولى قضاء سمرقند أكثر من ثلاثين سنة، وكان من خيار الحنفية وكان أبوه مستملى شمس الأئمة الحلوانى (١).

ويعد الفقيه الحنفى ركن الدين مسعود بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الكشاني السغدوى السمرقندى (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) من أشهر الفقهاء، كان إماما عالما يرجع إليه فى النوازل، تفقه على شمس الأئمة السرخسى، له شرح الجامع الصغير للشيخانى فى الفروع، مختصر المسعودى فى الفروع (٢).
والحسين بن على بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى الحنفى (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨م) كان إماما فاضلا متدينا يضرب به المثل فى النظر وعلم الخلاف، وكان على طريقة السلف من طرح التكلف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كان يدخل على الملوك ويقول الحق فى وجوههم. تفقه على السيد أبى شجاع العلوى، وسمع الحديث من الحافظ عبد الرحمن بن عبد الرحيم القصار، وأبى على الحسين بن عبد الملك النسفى، قدم رسولا من خاقان سمرقند إلى دار الخلافة (٣).

وكان أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن طاهر عرف بكاك

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٤٤٥.

(٢) اللكنوى: الفوائد البهية، ص ٢١٣. إسماعيل باشا البغدادى: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٣) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٢. الذهبى: المشتهر فى الرجال، ج ٢، ص ٦٦٣. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج ٦، ص ١٠٠، ١٠١. سبط بن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، القسم ١، ج ٨، ص ١٢٧. السمعانى: المصدر نفسه، ج ٥، ص ٦٧١. السمعانى: التحجير فى المعجم الكبير، ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٦. أبو عبد الله الدمشقى الصالحى: طبقات أصحاب الحديث، ج ٤، ص ٤٤. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج ٢، ص ٥٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩٩.

(ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م) من أهل بخارى، من أشهر الفقهاء، كان إماماً لأصحاب أبي حنيفة، رحل في طلب العلم إلى بغداد ومكة وسمرقند والري^(١). كما كان أبو الفتح ميمون بن محمد بن عبد الله بن بكر الدبوسى (ت ٥٣٠هـ / ١١٣٥م) فقيهاً مجوداً من الفقهاء الشافعية، تفقه على أبي المظفر السمعاني ومحمد بن عبد الرحمن السرخسى، وسمع منهما الحديث، سمع منه أبو سعد السمعاني. وابنه أبو القاسم محمود بن ميمون الدبوسى الفقيه الشافعى (ت ٥٣٠هـ / ١١٣٥م) كان فقيهاً فاضلاً، تفقه هو وأبو سعد السمعاني مشتركين فى الدرس وسمعا الحديث من أبى عبد الله الفراوى وأبى المظفر عبد المنعم بن أبى القاسم^(٢). والإمام الفقيه أبو على الحسين بن الخليل ابن أحمد بن محمد النسفى (ت ٥٣٣هـ / ١١٣٨م) نزيل سمرقند، رحل فى طلب العلم إلى بلدان العالم الإسلامى، فتفقه ببخارى على الخطاب محمد بن إبراهيم الكعبى القاضى، وبلغ على الإمام أبى حامد الشجاعى، ودخل بغداد حاجاً وحدث بها عن البخارى من الحسن بن على الحمادى، وكان له يد باسطة فى النظر^(٣).

ومن الفقهاء المشهورين أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل بن على الإمام السمرقندى المعروف بشيخ الإسلام الاسبيجائى (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) كان من أئمة الفقهاء الحنفية، ولم يكن أحد يحفظ مذهب أبى حنيفة ويعرفه مثله فى عصره، تفقه عليه جماعة منهم صاحب الهداية على بن أبى بكر الفرغانى. وعمر فى نشر العلم وسماع الحديث، له كتاب المبسوط كما قام بشرح مختصر الطحاوى فى فروع الحنفية^(٤) للإمام أبى جعفر أحمد بن

(١) القرشى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٤٩٠.

(٣) تقي الدين التميمي: الطبقات السنية، ج ١، ص ١٣٢.

(٤) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص ٣٨. الذهبي: تاريخ=

محمد الطحاوي الحنفي (ت ٣١٢هـ/ ٩٢٤م) ورتبه كترتيب المزني وجمع في كتابه أصناف الفقه التي لا يسع الإنسان جهلها وبين الإجابة عنها من قول أبي حنيفة^(١). وأبو إسحاق محمد بن منصور بن مخلص بن إسماعيل الحاكم النوقدي الإمام الزاهد صائم الدهر (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) من كبار الفقهاء، قال عنه السمعاني: " المدرس المفتي بسمرقند تفقه عليه أبو يعقوب يوسف بن منصور بن إبراهيم السيارى، وروى عن القاضي أبي اليسر محمد بن محمد ابن الحسين البزدوى^(٢)."

كما كان برهان الأئمة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة المعروف بالصدر الشهيد (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م) من أكابر الحنفية ببلاد ما وراء النهر، تفقه على أبيه وبرع في المذهب واجتهد إلى أن صار أوجد عصره في علم النظر، وحاز قصب السبق على أقرانه، وناظر الخصوم والكبار بخراسان والعراق، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر إلى أن صار السلطان يصدر عن رأيه ويتلقى إشارته بالقبول، وعاش في حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة في معركة قطوان بسمرقند^(٣) ومن أهم تصانيفه: الجامع الصغير، كتاب المطول،

=الإسلام، ج٣، ص ٣٨٥. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٩٦. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص ٢٧٦. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٤٤، ٤٥. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٢٤. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٦٩٧. الزركلى: ترتيب الأعلام على الأعوام، مج ١، ص ٣٦٣. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٤٩٥.

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ١٦٢٧. السمعاني: التحجير في المعجم الكبير، ج١، ص ٥٧٨، ٥٧٩.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٥٣٨. القرشى: الجواهر المضية، ج١، ص ٣٧٣.

(٣) الأسنوى: طبقات الشافعية، ج١، ص ٢٠٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٢٢، ص ٥١٠. ابن الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص ٨٢٢. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار، ج٦، ص ١٠٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات=

كتاب الفتاوى الصغرى، كتاب الفتاوى الكبرى، الواقعات الحسامية فى مذهب الحنفية، حالات وأحكام فقهية مقسمة على الأبواب المألوفة للفروع، كتاب عمدة الفتاوى، كتاب الفتاوى الخاصة، خبرات الفقهاء، شرح أدب القاضى للحصاف^(١).

بدأ شأن هذه الأسرة يعلو فى أواسط العهد السلجوقى وبالأخص عندما قام السلطان سنجر بتزويج أخته لعبد العزيز بن عمر، وهو والد أبى حفص عمر وعينه على رئاسة القضاء فى بخارى، ومنحه لقب الصدر، وبعد وفاته انتقل مقام الصدر إلى نسله من بعده، ويبدو أن هذه الأسرة قدمت خدمات جليلة للسلاجقة الكبار فى بلاد ما وراء النهر، ومن ثم نالت منهم الألقاب والوظيفة والمكانة، وارتبطت هذه الأسرة بالخانية التركية القائمة فى سمرقند^(٢).

ويعد أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على بن لقمان النسفى السمرقندى (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) من كبار علماء الفقه، صنف فى كل نوع من العلم، ومن أجل تصنيفاته فى الفقه المنظومة: وهى فتاواه التى أجاب بها عن جميع ما سئل عنه فى أيامه خلاف ما جمعه لغيره، وكتاب المواقيت، وكتاب العقائد النسفية، وكتاب طلبه الطلبة فى الاصطلاحات الفقهية، وكتاب نظم الجامع الصغير فى فقه الحنفية، وكتاب قيد الأوابد^(٣).

=در ایران، جلد دوم، ص ٥٩. محمد محروس عبد اللطيف: مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية، ج ١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٢١.

- (١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج ٦، ص ٢٩٤. الزركلى: الأعلام، ج ٥، ص ٥١.
- (٢) شاكِر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى، ج ٢، ص ٨٩٥، ٨٩٦. موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج ٣، ص ٣٧٣.
- (٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢٣٠. الذهبي: العبر فى خبر من غير، =

وكان أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندى (ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) من مشاهير فقهاء الحنفية فى عهده، شيخ كبير فاضل جليل القدر، تفقه على أبى المعين ميمون المكحولى، وعلى صدر الإسلام أبى اليسر البزدوى، تفقّهت عليه ابنته فاطمة، ومن مؤلفاته تحفة الفقهاء فى الفروع زاد فيها على مختصر القدورى ورتب أحسن ترتيب، وصنف تلميذه الإمام أبو بكر بن مسعود الكاسانى شرحا عظيما فى ثلاثة مجلدات وسماه بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، ولما أتمه عرضه على المصنف فاستحسنه واعتبره مهرا لابنته فاطمة الفقيهة، فقليل شرح تحفته وتزوج ابنته^(١).

والتحفة حلقة هامة فى سلسلة كتب الفقه الإسلامى فهى واسطة العقد بين البدائع وبين ما سبقها من كتب عظيمة، والتحفة كتاب سهل العبارة قريب المنال يمتاز بالتقسيم والترتيب، فهو كتاب علمى عملى وسط سهل مرتب. والتحفة تتصل اتصالا ظاهرا بكتابين: أحدهما مختصر القدورى،

=ج ٢، ص ٤٥٢. سعيد نفيسى: تاريخ نظم ونثر در إيران، جلد أول، ص ١٢٢. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٩٢. عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، ص ١٢٠. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٤٩، ١٥٠. المدنى: تحفة الأدباء وملوة الغرباء، تحقيق رجاء محمود السامرائى، ج ١، ١٩٩٣، ص ٤. . النسفى: العقائد النسفية، ص ٩. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه، جلد دوم، ص ٩٤٧. الزركلى: المرجع نفسه، ج ٥، ص ٦٠. قيس آل قيس: الإيرانيون والأدب العربى، مج ١، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(١) الزركشى: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ج ١، ص ٢٨٧. الشاشى القفال: حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء، ج ١، ص ٧١. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٥، ٩٥. القرشى: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٢٤. أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه وعيون المسالك، مج ١، ص ٦. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ١٥٨. الزركلى: الأعلام، ج ٥، ص ٣١٧، ٣١٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٤٦.

والثاني بدائع الكاساني . أما صلتها بمختصر القدوري كما عبر عنها صاحب التحفة : " أنه ألفها لأن ذلك المختصر شديد الإيجاز " فهو قصد بالتحفة أن تسد فراغا لم يسده المختصر ، من حيث المادة ومن حيث الدليل ، وهى بذلك حوت ما فى المختصر ، وتمتاز على المختصر بالترتيب والتقسيم ، كما قال صاحب التحفة نفسه : " اعلم أن المختصر المنسوب إلى الشيخ أبى الحسين القدورى جامع جملا من الفقه مستعملة بحيث لا تراها مدى الدهر مهمة يهدى بها الرائص فى أكثر الحوادث والنوازل ويرتقى بها المرتاض إلى أعلى المراقى و المنازل ، ولما عمت رغبة الفقهاء إلى هذا الكتاب ، طلب منى بعضهم ، من الإخوان والأصحاب ، أن أذكر فيه بعض ما ترك المصنف من أقسام المسائل وأوضح المشكلات منه ، بقوى من الدلائل ، ليكون ذريعة إلى تضعيف الفائدة بالتقسيم والتفصيل ، ووسيلة بذكر الدليل إلى تخريج ذوى التحصيل ، فأسرعت فى الإسعاف والإجابة ، رجاء التوفيق من الله فى الإتمام والإصابة " (١) .

وأما صلتها بالبدائع فمعروفة مشهورة صيغت فى عبارة جميلة هى " شرح تحفته وتزوج ابنته " (٢) على أن القول بأن البدائع شرح التحفة يحتاج إلى بيان ، ذلك أن صاحب البدائع لم يتخذ متنا فيشرحه عبارة عبارة ولا تفصيلا بل إنه رتب تريبا جديدا ، سار به بالصنعة الفقهية إلى الأمام ولكنه حافظ على ألفاظ التحفة بحيث يجد الباحث التحفة فى البدائع بلفظها لكن بترتيب آخر (٣) .

يتضح من القصة التى أسلفنا ذكرها عن تزويج ابنته فاطمة لعلاء الدين

(١) علاء الدين السمرقندى : تحفة الفقهاء ، تحقيق محمد زكى عبد البر ، ج١ ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون ، مج ١ ، ص ٣٧١ . ابن قطلوبغا : تاج التراجم ، ص ٢٩٤ .

(٣) علاء الدين السمرقندى : تحفة الفقهاء ، ج١ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

الكاساني ما يدل على أخلاق السمرقندي، فقد أثر لابتته العلم على الإمارة، ورجل هذا شأنه لا بد من أن يكون على جانب كبير جدا من النفس العالية والإيمان العميق والتعلق الشديد بالأنفس^(١).

ومن علماء الفقه البارزين القاضي ظهير الدين أبو الفتح عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق بن عبد الله الولوالجي الطخارستاني (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) سكن سمرقند، واختص بأبي محمد القطوانى، كان إماما فاضلا حسن السيرة، رحل في طلب العلم إلى كش وبخارى وتفقه بها على البرهان، وكتب الأمالي في الفقه والفتاوى^(٢). وأبو القاسم ناصر الدين بن يوسف السمرقندي الحسينى المدينى، من أشهر فقهاء الحنفية، ومن تصانيفه الملتقط في الفتاوى أتمه إملاء سنة (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) والقانون المنشور وكلاهما في الفقه الحنفى^(٣).

وأبو المحامد محمود بن أحمد بن على بن الفرغ السمرقندى السغدى (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) كان إماما بارعا في الفقه والتفسير والحديث والمتفق والمختلف والوعظ، سمع يوسف بن صالح والحسن بن عطاء السغدى، صار شيخ الإسلام بسمرقند، وكان حسن السيرة كثير الخير والعبادة، قرأ عليه السمعاني تنبيه الغافلين بروايته عن أبى إبراهيم إسحاق ابن محمد النوحى عن سبط الترمذى عن مؤلفه^(٤). وكذلك كان أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد

(١) علاء الدين السمرقندى: المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢.

(٢) القرشى: الجواهر المضية، ج٢، ص ٤١٧، ٤١٨. ابن قطلوبغا: المصدر نفسه، ص ٣٤،

٣٥. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٥٦٨.

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص ٤٢٠ القرشى: المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨. ابن

قطلوبغا: المصدر نفسه، ص ٨٩. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص ٣٥١. عمر

رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٦٥٦.

(٤) الداودى: طبقات المفسرين، ج٢، ص ٣٠٩. الذهبى: المصدر نفسه، ج٣٧، ص ٤٣٤.

الجليل بن إسماعيل الفقيه السمرقندي الأبري سمى (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) من كبار الفقهاء، تفقه بسمرقند وسمع تنبيه الغافلين لأبي الليث من الإمام إسحاق بن محمد النوحى^(١). وكان القاضى أبو الحسن على عفان بن على ابن الفضل بن زكريا بن خالد بن زيد بن كليب الماتريدى السمرقندى (ت ٥٥١هـ / ١١٥٦م) سبط شيخ الإسلام أبى منصور الماتريدى، كان من أبرز الفقهاء، تفقه على جده لأمه^(٢).

كما كان أبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة الأسمندى السمرقندى (ت ٥٥٢هـ / ١١٥٧م) من أئمة علماء الفقه، درس الفقه الحنفى والمناظرة، وصار من فحول الفقهاء من أصحاب أبى حنيفة، تفقه على السيد الإمام الأشرف، وكان حسن العبارة، له تعليقة مشهورة فى مجلدات، وألف مختلف الرواية فى الفقه، وكتاب شرح عيون المسائل لأبى الليث وسماه حصر المسائل وقصر الدلائل فى مجلد، شرح الجامع الكبير للشيبانى فى الفروع، وله الفتاوى الصغرى والكبرى. رحل إلى بغداد وبصحبته الشمس ابن الحسام بن البرهان، وناظر علماءها، وحدث بها عن عمر بن عبد العزيز بن مازة البخارى. روى عنه السمعانى^(٣).

(١) القرشى: الجواهر المضية، ج١، ص ٢٩٠. تقى الدين التميمى: الطبقات السنية، ج٢، ص ٦٣.

(٢) القرشى: المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٥٣.

(٣) الاسمندى: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الاسلاف، تحقيق محمد زكى عبد البر، القاهرة، ص ٢٤، ٢٥. الداودى: طبقات المفسرين، ج٢، ص ١٧٧. السيوطى: طبقات المفسرين، ص ٣٥. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٣، ص ٢١٨. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٤، ج ١، ص ١٥. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار فى ممالك الامصار، ج٢، ص ١١٥. ابن الفوطى: مجمع الآداب، مج ٢، ص ٣٥٦، ٣٥٧. العسقلانى: لسان الميزان، ج٥، ص ٢٤٣. أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه، مج ١، ص ٢٧.

ويعد أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن علي بن لقمان بن شيخ الإسلام أبي حفص النسفي يعرف بالمجد (ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) من أشهر علماء الفقه من أهل سمرقند، تفقه على والده، واسمعه والده من جماعة من السمرقنديين والغرباء الواردين عليهم بسمرقند، وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً قدم مرو متوجهاً إلى الحجاز، وأقام ببغداد شهرين ثم خرج متوجهاً إلى بلده، فلما وصل قومس خرج جماعة من أهل القلاع وقطعوا الطريق على القافلة وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء والعائدين من الحجاز وكان فيها المجد النسفي^(١).

وكان إبراهيم بن يعقوب بن أبي النصر بن مدروسة الكشاني (ت ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م) فقيهاً فاضلاً عارفاً بمذهب أبي حنيفة وروايته، مفسراً، واعظاً، حسن السيرة، سكن سمرقند وتولى الخطابة نيابة عن محمود بن أحمد الساغرجي، ولقب شيخ الإسلام بعد أن خرج منها، سمع بالكشانية أباه وبسمرقند أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الخطيب النوحى^(٢).

كما كان أبو المعالي محمد بن نصر بن محمد بن منصور بن علي بن محمد بن محمد ابن يعلى بن الفضل الخطيب المدينى السمرقندى (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) من كبار الفقهاء، إماماً زاهداً تفقه على الشيخين فخر الإسلام علي بن محمد البزدوى وصدر الإسلام محمد بن محمد، قال السمعاني: سمعت منه في داره بسمرقند، وكان شيخاً مسناً، قيل إنه جاوز المائة^(٣).

(١) تقى الدين التميمي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٦، ٤١٧. القرشى: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٦، ٢٢٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٣٦. اللكنوى: الفوائد البهية، ص ٢٩ عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ١، ص ٢١٧.

(٢) تقى الدين التميمي الطبقات السنية، ج ١، ص ٢٥٢. القرشى: الجواهر المضية، ج ١، ص ١١٦، ١١٧.

(٣) السمعاني: الانساب، ج ٥، ص ٢٣٩. القرشى: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٧٨. علاء=

ويعد أبو القاسم ناصر الدين محمد بن يوسف محمد العلوي الحسيني المدني السمرقندي المعروف بأبي القطن (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) من الفقهاء الحنفيين البارزين، كان عالماً بالتفسير والحديث والوعظ، قيل قُتل صبراً، صنف جامع الفتاوى ويسمى أيضاً بالجامع الكبير، وكتاب خلاصة المفتى في الفروع، وكتاب قانون في الفروع، وكتاب مصابيح السبل مجلدان في فروع الفقه، والمنثور في الفروع، وكتاب الملتقط في الفتاوى الحنفية ويسمى مآل الفتاوى، أتمه سنة (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) ثم نقله الشيخ الإمام الزاهد جلال الدين محمود بن الشيخ مجد الدين الحسين بن أحمد الاسروشنى من غير زيادة ولا نقصان عنه سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) بأسروشنه وأملاه تماماً في سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) (١).

وأبو الحسن علي بن مودود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن العباس النظرى الكشاني (ت ٥٥٧هـ / ١١٦١م) كان إماماً فقيهاً مناظراً، تفقه على عمه مسعود بن الحسين صاحب المختصر المسعودى ببخارى، ثم على البرهان عبد العزيز بن عمر بن مازة، ثم بمرور على القاضى محمد بن الحسين الارسابندى، وكان حسن السيرة متواضعاً كثير التلاوة للقرآن حافظاً له، سكن سمرقند وولى الخطابة بها مدة غير طويلة أملئ ودرس، روى عن أبى القاسم عبيد الله بن عمر الخطيب وأبى نصر محمد بن الحسين الباهلى

=الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، ج١، ص١٦. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول فى نتائج العقول، ص١٥م.

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٨١٣. الداودى: طبقات المفسرين، ج٢، ص ٢٩١، ٢٩٢. علاء الدين السمرقندى: تحفة الفقهاء، ج١، ص١٧. القرشى: المصدر نفسه، ج٤، ص٧٨، ٧٩. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٢١٩، ٢٢٠. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص٩٤. الزركلى: الأعلام، ج٧، ص١٤٩. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٣، ص٧٨٩.

الكشانيين، ثم رحل إلى مرو وسكنها مدة، وولى التدريس بالمدرسة الخاقانية، وتفقه عليه جماعة، كثيرة، كتب الأمالى عن مشايخ بخارى^(١).

ومن علماء الفقه الكبار الشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) كان واعظا فاضلا، له شرعة الإسلام إلى دار السلام، فى واحد وستين فصلا، ألفه لتهذيب أطفال أهل الإيمان، وقد وصفه فى بعض كلامه " إنه أول ما يلقن به أطفال أهل الإيمان، وأحق ما يتحفظه أهل الإيمان بل لا مندوحة دونه لسالك سبيل الهدى كيلا يتردى به الهوى فى هوة الردى " والظاهر أن المؤلف قصد بهذا الكتاب أن ينتفع به أعقابه ويتخذوه دليلا ومرشدا، فقال فى مقدمة الكتاب " والمأول من فضل الكريم الوهاب أن يبارك لى لمن أخلفه من الأعقاب بما أودعته هذا الكتاب، إنه ولى الإجابة والإيجاب وإليه المصير والمآب " .

لكن الكتاب أصبح مرجعا للعامة والخواص ودليلا موجها لمن أراد أن يهتدى فى حياته بهدى الكتاب والسنة وهدى الرسول ﷺ فى العادات والتقاليد والعبادات والأحكام والمعاملات، فذكر ما ثبت بالسنة من عقائد الدين وملة الإسلام ينهج فى ذلك نهج السلف، فجاء كقانون ودستور للحياة فى العقائد والأعمال والأخلاق. وتعرض فى الكتاب لعلم أخلاق الدين وأخلاق العلماء وذكر آداب المتعلم وحقوق المعلم، وفى الكتاب فصول فى بيان الأحكام العملية فى حياة المسلم، وقد ذكر فيها بعض ما لا يدخل فى أبواب الفقه والأحكام من الوصايا والتجارب وفصول فى الفضائل والأدعية والأذكار. لعل من خصائص هذا الكتاب ما جاء فى الفصل الثامن والثلاثين

(١) الذهبى: تاريخ الإسلام، ج ٣٨، ص ٢٣٤. السمعانى: التحبير فى المعجم الكبير،

ج ١، ص ٥٩٢، ٥٩٣. القرشى: الجواهر المضية، ج ٢، ص ٦١٦، ٦١٧. اللكنوى:

الفوائد البهية، ص ١٣٨، ١٣٩. ناجى معروف: علماء النظاميات، ص ١٠٢.

من سنن البناء والمسكن، أردف كل ذلك من الآداب فى الحياة اليومية والعادات البشرية والأخلاق الإسلامية، وفى الكتاب فضائل بعض الأطعمة والفواكه والأشربة^(١).

وكان أبو محمد سراج الدين على عثمان الاوشى الفرغانى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) من أئمة علماء الفقه، بدأ التعليم فى بلده أوش وتحدث عن شيخ الإسلام نصير الدين أبى بكر بن أبى عبد الله محمد بن سليمان الاوشى، وسمع منه طبقات أبى بكر محمد الطوسى ثم جمع من مروياته مسند مالك ابن أنس بإسناد واحد ثم رحل إلى سمرقند، فدرس بها العلوم الشرعية على إمامين جليلين من علماء الحنفية أحدهما العالم محمد بن عبد الحميد الاسمندی، وسمع منه جامع الترمذى إجازة، والثانى السيد الشريف ناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد العلوى الحسنى السمرقندى الذى سمع منه كتاب الإقناع للمروزي وروضة العلماء للزندوستى وغريب الحديث لأبى عبيد، وكذلك سمع وتفقه على الأئمة والقضاة المشهورين بالعلم والتقوى والسيادة والأدب من علماء ما وراء النهر أصول السنة والجماعة اعتقادا وعملا على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة والإمام علم الهدى أبى منصور الماتريدى، وصار إماما ومفتيا يدرس العلوم ويعظ الناس ويفتيهم، وتلمذ عليه طلاب العلم منهم القاضى الإمام أبو نصر أحمد بن محمد بن عمر العتابى البخارى الذى أخذ الإجازة منه، صنف سراج الدين الاوشى فى أصول الدين والحديث والفقه^(٢).

تجدر الإشارة هنا إلى أنه كان للنساء مشاركة فعالة فى ميدان العلوم الدينية حيث ظهر فى هذا العصر عالمات أسهمن فى تقدم علم الفقه، فكانت

(١) ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص ٢٦،

٢٧م. الزركلى: الأعلام، ج ٦، ص ٥٤.

(٢) هشام نشابه: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ج ٢، ص ٥٦٣، ٥٦٤.

فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى مؤلف التحفة (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) عالمة فاضلة فقيهة محدثة ذات خط جميل، تفقّحت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلاً جيداً، تلقت العلم عن جملة من الفقهاء وأخذ عنها كثيرون وتصدرت للتدريس وألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث وعاصرت الملك العادل نور الدين الشهيد واستشارها في بعض أموره الداخلية وسألها عن بعض المسائل الفقهية وأنعم عليها، وكان زوجها الكاسانى ربما يخطأ في الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكانت تفتى وكان زوجها يحترمها ويكرمها، وكانت الفتوى أولاً تخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بالكاسانى صاحب البدائع صارت الفتوى تخرج بخط الثلاثة.

أما قصة زواجها بالكاسانى فهي أن جماعة من ملوك بلاد الروم طلبوها من والدها وكانت حُسنَ النساء في عصرها فامتنع والدها، فجاء الكاسانى ولزم والدها واشتغل عليه وبرع في علوم الأصول والفروع، وصنف كتاب البدائع، وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء في عصره: شرح تحفته وزوجه ابنته، وقال أحد فقهاء الخلاوية بحلب: هي التي سنت الفطر في رمضان للفقهاء بالخلاوية، فكان بيديها سواران فأخرجتهما وباعتهما وعملت بالثمن الفطور كل ليلة واستمر على ذلك إلى اليوم^(١).

كان أبو بكر مسعود بن أحمد الكاسانى علاء الدين ملك العلماء (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) من أئمة الحنفية، صاحب كتاب بدائع الصنائع، تفقه على علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندى، وتزوج ابنته فاطمة الفقيهة من أجل أنه شرح كتاب التحفة للسمرقندى، وسماه البدائع

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٣٧٣، ٣٧٤. القرشى: الجواهر المضية،

ج ٤، ص ١٢٠ - ١٢٣. عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ج ٤، ص ٩٤، ٩٥.

فجعلله مهر ابنته، ويحكى المؤرخون أن الكاسانى وزوجته ووالدها كانوا يفتون فى عصره وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يفتى فى بيت واحد^(١).

أقام الكاسانى ببلاد الروم وحدث أن تناظر هو وبعض الفقهاء " فى مسألة المجتهدين هل هما مصيبان أم أحدهما مخطئ؟ فقال الكاسانى: لا بل الصحيح عن أبى حنيفة أن أحد المجتهدين مصيب والآخر مخطئ والحق فى جهة واحدة، وما تقوله هو مذهب المعتزلة وجرى بينهما كلام فى ذلك، فرفع الكاسانى على ذلك الفقيه المقرعة فتأذى ملك الروم، وقال لوزيره: هذا افتات على الفقيه فاصرفه عنا، فقال الوزير: هذا الرجل شيخ العلم، وله حرمة وافرة ولا ينبغى أن نصرفه، بل تنفذه رسولا إلى نور الدين محمود بن زنكى ونتخلص منه بهذه الطريقة، ولما قدم حلب ولاه نور الدين تدريس الحلاوية بعد وفاة الرضى السرخسى، وتلقاه الفقهاء وكانوا فى غييته يسيطون له السجادة ويجلسون حولها فى كل يوم إلى أن يقدم.

صنف الكاسانى كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع رتبة ترتيباً حسناً وأوضح مشكلاته بذكر الدلائل فى جميع المسائل، ومنها كتابه السلطان المبين فى أصول الدين، وسماه المعتمد فى المعتقد، وكتاب ندرة أصحاب الإمام أبى حنيفة فى الزمن الأخير، وكان مواظباً على ذكر الدرس ونشر العلم^(٢).

(١) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص٢٧٤، ٢٧٣. ابن العديم: بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج١٠، ص٤٣٤٧، ٤٣٤٨. علاء الدين السمرقندى: ميزان الأصول فى نتائج العقول، ص١٢. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص٨٤.

(٢) ابن العديم: المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٣٤٧، ٤٣٤٨. ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار فى ممالك الأمصار، ج٦، ص١١٩، ١٢٠. الكاسانى: بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع، تحقيق أحمد مختار عثمان، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٧١م، ص٧٧، ٧٨. اللكنوى: الفوائد البهية، ص٥٣. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص٣٠٦، ٣٠٧.

كما كان الإمام برهان الدين أبو الحسن على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغانى المرغينانى السمرقندى صاحب الهداية (ت ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) إماماً فقيهاً حافظاً محدثاً مفسراً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون، تفقه على الأئمة المشهورين منهم مفتى الثقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفى والإمام الصدر الشهيد حسام الدين عمر بن عبد العزيز، والإمام ضياء الدين محمد ابن الحسين البنديجى تلميذ صاحب التحفة علاء الدين السمرقندى، وتفقه عليه ابنه عمر بن على أبو حفص، وابنه الآخر محمد بن على بن أبي بكر الإمام الملقب عماد الدين، رحل إليه العلماء من أرجاء العالم الإسلامى^(١). له مؤلفات عديدة منها كتاب البداية، وكتاب مجموع النوازل، وكتاب كفاية المنتهى ومناسك الحج، وكتاب الهداية جمع فيه بين عيون الرواية ومستون الدراية، وافتتح تأليفه سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) وهو مقبول بين الأئمة من الخواص والعوام، وقد بقى صاحب الهداية فى تصنيفه ثلاث عشرة سنة، وكان صانماً فى تلك المدة لا يفطر أصلاً^(٢).

فُسم أصحاب الحنفية على خمس طبقات: الأولى: طبقة المجتهدين فى المذهب القادرين على استخراج الأحكام من القواعد التى قررها الإمام. الثانية: طبقة المجتهدين فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب أمثال الطحاوى واليزدوى، وهم لا يقدرّون على مخالفة إمامهم فى الفروع والأصول لكنهم يستنبطون الأحكام التى لا رواية فيها على حسب الأصول. والثالثة: طبقة أصحاب التخريج القادرين على تفصيل قول مجمل وتكميل

(١) الاسمندی: طريقة الخلاف فى الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٢٦. برهان الدين المرغينانى: الهداية شرح بداية المبتدى، تحقيق محمد محمد تامر وحافظ عاشور، مج ١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٨.

(٢) برهان الدين المرغينانى: المصدر نفسه، مج ١، ص ٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٢٣٢.

قول محتمل من دون قدرة على الاجتهاد. الرابعة: طبقة أصحاب الترجيح كصاحب الهداية، القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض بحس الدراية. الخامسة: طبقة المقلدين الذين لا يفرقون بين اليمين والشمال^(١).

وكان افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب بن الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح القرشي الهاشمي البلخي الحنفي (٦١٦هـ/ ١٢١٩م) من علماء الفقه الكبار، تفقه ببلاد ما وراء النهر وسمع بسمرقند وبلخ وأفقي وناظر، ومن تصانيفه شرح الجامع الكبير للشيباني في فروع الفقه الحنفي في مجلدات^(٢). وأبو الفتوح محمد بن محمد بن أحمد السمرقندي الفقيه الحنفي السمرقندي الأصل البغدادي المولد والدار (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) كان من فقهاء أصحاب أبي حنيفة، تفقه ببغداد، وسمع أبا الفتح محمد ابن عبد الباقي بن أحمد، وروى عنه ابن الديثي وابن النجار، وكان شيخا حسنا، فقيها فاضلا جميل الطريقة متدينا لازما لبيته قليل المخالطة للناس مشتغلا بنفسه^(٣).

كان حسام الدين محمد بن عثمان بن محمد العليا بادي السمرقندي الحنفي (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) فقيها فاضلا، له من التصانيف كتاب فوائد في الفقه، وكتاب كامل الفتاوى^(٤). كذلك كان أبو الفضل جمال الدين عبيد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن عبد الملك بن عمر الأنصاري العبادي المحبوبي السمرقندي (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر، وأحد من

(١) برهان الدين المرغيناني: المصدر نفسه، مج ١، ص ١٠.

(٢) عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٣١٤.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٥، ص ٧٦، ٧٧. الذهبي: المختصر المحتاج إليه للديثي، ج ١، ص ١٣١. القرشي: الجواهر المضية، ج ٣، ص ٣٤٢. المنذري: التكملة لوفيات النقلة، مج ٣، ص ١١٩.

(٤) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ١١٢. عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٤٨٣.

انتهى إليهم المذهب، عديم النظير في عصره، له تصانيف منها كتاب الفروق، وشرح الجامع الكبير، يعرف بأبي حنيفة الثاني^(١).

فضلا عن العلامة فقيه المشرق شمس الأئمة أبو الوحدة محمد بن عبد الستار بن محمد العبادي الكردي الحنفي (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) أستاذ الأئمة على الإطلاق في الفقه الحنفي. رحل إلى بلاد ما وراء النهر وسكن سمرقند، وتفقّه على شيخ الإسلام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني صاحب الهداية، والشيخ مجد الدين السمرقندي المعروف بإمام زاده وسمع الحديث منهما، وتفقّه ببخارى على العلامة بدر الدين عمر ابن عبد الكريم الورسكي، وبرع في معرفة المذهب^(٢).

صفوة القول ظهر عدد من كبار الفقهاء في مدن إقليم الصغد في العصر السلجوقي، وكانت الغالبية العظمى منهم من أتباع المذهب الحنفي، ولعل ذلك لأن الكتب التي كانوا يعولون عليها هي كتب محمد بن حسن الشيباني (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م) ومن هذه الكتب، المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكان أغلبها خاليا من التعليل، ومن ثم كان لبعض هؤلاء الفقهاء أبحاث رائعة، ودراسات جليّة في هذا الشأن، كما أشارت المصادر إلى وجود عدد كبير من أتباع المذهب الشافعي، لكنه لم يصل إلى المذهب الحنفي. وهكذا صار المذهبان الحنفي والشافعي جنبا إلى جنب في إقليم الصغد في فترة الدراسة، في حين أننا لم نجد أية إشارة إلى وجود فقهاء من مذاهب أخرى، وكثرت مصنفات ومؤلفات المذهبين سابقى الذكر ولا شك أن ذلك كان يمثل ثروة ثقافية لها شأنها في بناء الفكر الإسلامي.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٣٤٣. محمد بن الحسن الحجوى الشعالبي القاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مج ٢، ص ١٨٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ١١٢، ١١٣. القرشي: الجواهر المضية، ج ٣، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

خامساً: علم أصول الفقه

علم أصول الفقه اسم مركب من مضاف وهو الأصول ومضاف إليه وهو الفقه، ومعرفة المركب يحتاج إلى معرفة أجزائه ومفرداته^(١). والأصول جمع أصل، والأصل في اللغة أسفل الشيء^(٢)، والأصل ما يبنى عليه غيره^(٣) سواء كان هذا البناء حسياً، كبناء السقف على الجدار أو معنوياً كبناء الحكم على دليله، ويقال أصل الدار وأصل الحكم^(٤). وقيل ما يستند تحقق الشيء إليه^(٥). والأصول هي كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين. ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة، فالمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في الطاعة والشرعية كان فروعياً، ومن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، وقال بعض العقلاء: "كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول، وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع"^(٦).

وفي الاصطلاح يطلق على الدليل فأصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلائلها على الأحكام الشرعية، وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفضيل^(٧). أما الفقه فهو جملة العلم بالأحكام الشرعية العملية

(١) الحسين بن رشيق المالكي: لباب المحصول في علم الأصول، ج١، ص ١٩١.

(٢) أبو المواهب اليوسفي: البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، ص ١٤٩.

(٣) الجويني: الورقات، ص ٧. أبو المواهب اليوسفي: المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٩.

(٤) حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص ٦.

(٥) الآمدي: الاحكام في أصول الأحكام، ج١، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٤، ص ٨.

(٦) الشهرستاني: موسوعة الملل والنحل، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٠، ١٩. علاء الدين

السمرقندي: ميزان الأصول، ص ٢.

(٧) الآمدي: المصدر نفسه، ج١، ص ٨. الغزالي: المستصفي من علم الأصول، تحقيق

محمد سليمان الأشقر، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٦. الدومي

الدمشقي: نزهة الخاطر العاطر. شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه،

ج١، دار الفكر العربي، ص ٢٠.

المكتسبة من أدلتها التفصيلية^(١). وموضوع أصل الفقه هو معرفة الأدلة الشرعية ومراتبها وأحوالها^(٢) وأما غاية علم الأصول فالوصول إلى معرفة الأحكام الشرعية التى هى مناط السعادة الدنيوية والأخروية^(٣).

أما مصادر أصول الفقه فالمقصود بها ،لأدلة، والأصول التى بنيت عليها قواعد، وهى:

✽ استقراء نصوص الكتاب والسنة الصحيحة

✽ الآثار المروية عن الصحابة والتابعين

✽ إجماع السلف الصالح

✽ قواعد اللغة العربية

✽ الفطرة السوية والعقل السليم

✽ اجتهادات أهل العلم واستنباطاتهم وفق الضوابط الشرعية^(٤).

وعلم أصول الفقه عرفه البعض بأنه العلم بالقواعد التى يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة التفصيلية^(٥). وعرفه

(١) الجوينى: البرهان فى أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، ج١، ط٢ دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠، ص٨٦. الجوينى: الورقات، ص٧. أمير عبد العزيز: أصول الفقه، مج١، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٤.

(٢) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ص٢٣.

(٣) الأمدى: المصدر نفسه، ج١، ص٩. محمد الخضرى بك: أصول الفقه، ط٥، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٩.

(٤) محمد بن حسين بن حسن الجيزانى: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، ص٢٣.

(٥) الحسين بن رشيق المالكي: لباب المحصول فى علم الأصول، ج١، ص١٩٢. أمير عبد العزيز: أصول الفقه، مج١، ص٢٤. محمد الخضرى بك: أصول الفقه، ص١٣.

البعض الآخر بأنه معرفة دلائل الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد^(١). واشتمل هذا التعريف على ثلاثة من مباحث علم الأصول الأربعة وهي الأدلة وطرق الاستنباط والاجتهاد وذلك كما يلي:

- أدلة الفقه الإجمالية هي الأدلة الشرعية المتفق عليها والمختلف فيها. وكيفية الاستفادة منها، أى كيفية الاستفادة الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية، والمقصود بذلك طرق الاستنباط مثل الأمر والنهى، والعام والخاص، وحال المستفيد أى المجتهد، ويدخل فى ذلك مباحث التعارض والترجيح والفتوى، وبقي من مباحث علم الأصول رابعها وهو مبحث الأحكام^(٢). وعلى كل فإن مباحث هذا العلم أربعة: الأدلة، وطرق الاستنباط، والاجتهاد، والأحكام^(٣).

قال ابن خلدون: "اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف، وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذى هو القرآن الكريم، ثم السنة المبينة له، فعلى عهد النبى كانت الأحكام تتلقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهى لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس، ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القرآن بالتواتر، أما السنة فأجمع الصحابة على وجوب العمل بما يصل إلينا منها بالنقل الصحيح، وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسنة بهذا

(١) السنغافى: الوافى فى أصول الفقه، ج١، تحقيق أحمد محمد حمود اليماني، القاهرة،

٢٠٠٣م، ص١٦٨. اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه،

ج١، ص١٦٤. حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص١١.

(٢) محمد بن حسين بن حسن الجيزاني: المرجع نفسه، ص٢١.

(٣) الغزالي: المستصفى من علم الأصول، ج١، ص٣٦.

الاعتبار، ثم ينزل الإجماع منزلتها لإجماع الصحابة والاستدلال. أما القياس فيإجماع الصحابة" (١).

والأصولي هو الشخص المنسوب إلى الأصول أى المتصف بذلك العارف بدلائل الفقه الإجمالية وبطرق استفادتها مع المعرفة بتعديلها وترجيح ما يرجح منها، وإسقاط ما يسقط عند تعارضها، ومعرفة صفات المجتهد الذى يستفيد من الأحكام (٢). واختلف الأصوليون فى الأدلة فالمشهور أنها الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال (٣). وأصول الفقه المتفق عليها ثلاثة كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة. والمختلف فيها ثلاثة القياس، والاستحسان، والاستصلاح (٤).

نشأ علم أصول الفقه فى ظل علم الفقه كما نشأ الفقه فى حضن الحديث، ولم تكن هناك حاجة لهذا العلم فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام، وفى حياة الصحابة والتابعين لأن المسلمين كانوا يفرعون إلى النبى وإلى الأئمة كلما احتاجوا إلى حكم فى مسألة أو قضية، وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى قواعد تنظم عملية استنباط الأحكام (٥). غير أن هذا العلم فى

(١) ابن خلدون: العبر، ج١، ص٤٥٣، ٤٥٢. محمد راغب الطباخ: الثقافة الإسلامية، ص٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) اليوسفى: البدور اللوامع فى شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه، ج١، ص١٦١.

(٣) ابن رشيق المالكي: لباب المحصول فى علم الأصول، ج١، ص١٩٣. السنغاني: الوافى فى أصول الفقه، ج١، ص١٦٨. اليوسفى: المصدر نفسه، ج١، ص١٦٥. محمد نبيل غنايم: الرسالة للإمام الشافعى، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٣. محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى: مناهج العلماء فى دفع التعارض وترتيب الأدلة، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد ١٦، ٢٠٠٣، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٤) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٧. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص١٧٩.

(٥) حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص١٩. محمد كاظم مكى: منطلق الحياة الثقافية فى جبل عامل، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١، ص١٦٤.

خطوطه العريضة وفي بعض مسائله الجزئية ظهر مبكراً مع الإسلام، فقد ذكر الإمام على جملة من المباحث الأصولية، كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، والنوافل والفرائض. وهكذا لم تكن مسائل علم الأصول وقواعده مهمة في صدر الإسلام. ونسب للإمامين الصادق والرضا قولهما مخاطبين الأصحاب والطلاب: "علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع" (١).

كان ذلك إيذاناً بمولد علم الأصول واتجاه الذهنية الفقهية اتجاهاً أصولياً، فانفصل علم الأصول عن علم الفقه في البحث والتصنيف، واختلف الناس قديماً وحديثاً في أول من دون علم أصول الفقه وأرسى قواعده، فذهب الأكثرون إلى أن مؤسس هذا العلم وأول من ألف فيه الإمام الشافعي، حيث إنه أحرز قصب السبق في هذا الميدان بتأليف كتابه "الرسالة" وهذا هو المشهور عند المهتمين بتاريخ التشريع الإسلامي (٢).

يعد "الرسالة" أول كتاب منظم في أصول الفقه يضم القانون الكلي والقواعد العامة لاستنباط الأحكام الشرعية وإقامة الأدلة عليها (٣). وتكلم الشافعي في رسالته عن الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس (٤). ثم تبعه بالتأليف في أصول الفقه جماعة من فقهاء

(١) محمد كاظم مكي: المرجع نفسه، ص ١٦٤.

(٢) مجهول المؤلف: رسالة تشمل على تراجم بعض الأئمة من الفقهاء المنسوبين إلى الإمام الشافعي، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣١٢ تاريخ، ميكروفيلم ١٦٥٦، ص ٢. عتيق أحمد البستوي: دور العلماء الأحناف في تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، مجلة الدراسات الإسلامية، العددان الأول والثاني، المجلد ٣٧، ٢٠٠٢، ص ١٣٩.

(٣) حسين حامد حسان: أصول الفقه، ص ٢٤، ٢٣. محمد نبيل غنايم: الرسالة للإمام الشافعي، ص ٣١، ٣٣.

(٤) أمير عبد العزيز: أصول الفقه، ص ١٩، ٢٠. محمد الحضري بك: أصول الفقه، =

الحنفية على طريقتهم، ونبغوا فى علم أصول الفقه، وتطور بجهودهم وبلغ ذروة كماله خاصة فى القرن الخامس الهجرى. ومن أشهر المؤلفين فى أصول الفقه أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الحنفى الدبوسى (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) كان من كبار فقهاء الحنفية الأصويين ممن يضرب به المثل فى النظر واستخراج الحجج، وهو أول من وضع علم الخلاف^(١) وأبرزه إلى الوجود وأسس قواعده، وله طريقة حسنة ومصنفات مفيدة، وأجل تصانيفه كتاب تأسيس النظر فى اختلاف الأئمة، ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الخلاف، وذكر فى مقدمة الكتاب السبب فى تأليفه: "إذ قال أما بعد فإنى لما رأيت تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقهين وتعسر طرق استنباطهم عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مأخذها، إذا تدبر الناظر فيها عرف مجال التنازع ومدار التناطح عند التخاصم فيصرف عنايته إلى ترتيب الكلام وتقوية الحجج فى المواضع التى عرف إنها مدار القول، ومجال التنازع فى موضع النزاع، فيسهل عليهم تحفظها، ويتيسر لهم سبيل الوصول إلى عرفان مأخذها". ثم قسم الخلاف بين الفقهاء وجعله ثمانية أقسام؛ فيما بين

=ص ٩. محمد عادل عبد العزيز: الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص ١٧٩.

(١) علم الخلاف هو علم يبحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية أو التفصيلية، وله استمداد من العلوم العربية والشرعية. وغرضه تحصيل ملكة الإبرام والنقض. وفائدته دفع الشكوك عن المذاهب وإيقاعها فى المذهب المخالف*. وهو ما نسميه اليوم فى اصطلاح علم الحقوق الحديث باسم الفقه المقارن، فالدبوسى أول من عنى بتنظيم البحث فى الفقه المقارن بين المذاهب. وجعل منه علماً مستقلاً**.

* الدبوسى: تأسيس النظر، مطبعة الإمام، القاهرة. ١٩٧٢، ص ٤. الذهبى: العبر فى خبر من غبر، ج ٢، ص ٢٦٣. طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج ١، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

** أحمد بن محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، ط ٣، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٩.

فقهاء الأحناف أنفسهم من جهة وبين هؤلاء والإمام مالك بن أنس ومحمد ابن إدريس الشافعي من جهة أخرى^(١).

وكذلك كتاب تقويم الأدلة المعتمد في أصول الفقه الحنفي، وضمن كتابه هذا آراءه الأصولية وإن كانت تخالف أئمة مذهبه، واعتنى علماء الحنفية بهذا الكتاب، فشرحه الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي الحنفي وهو شرح حسن، واختصره الإمام سيف الدين أبو بكر محمد بن الحسين الارسابندي، وشرحه أيضا الإمام بدر الدين محمود بن عبد الكريم الكردي^(٢). وكتاب الأسرار، وكتاب نظم الفتاوى وكتاب خزنة الهدى في الفتاوى وكتاب الأسرار في الأصول و الفروع، وكتاب تحديد أدلة الشرع^(٣). وكتاب الأمد الأقصى وهو نصائح وإرشادات أخلاقية كلامية^(٤).

وروى أن فقيهاً ناظر أبا زيد الدبوسي فبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم وضحك، فأنشد أبو زيد في ذلك:

مالي إذا ألزمته حجة قابلني بالضحك والفقهه
إن كان ضحك المرء من فقهه فالدب في الصحراء ما أفقهه^(٥).

(١) الجويني: الدرة المضية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، ص ٦١ م. الدبوسي:

تأسيس النظر، ص ١

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٤٦٧. السغناتي: الوافي في أصول الفقه، ج ١، ص ٨٨، ٨٩.

(٣) الدبوسي: المصدر نفسه، ص ٣. الزركشي: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ج ٢، ص ٦٣٧. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٤٨. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٢، ص ٢٦٦.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٨. الدبوسي: المصدر نفسه، ص ٣. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٣٦. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٧١. اللكنوي: الفوائد البهية، ص ١٠٩. محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مج ٢، ص ١٧٩.

ولقد رثاه بعض الأفاضل بقوله:

لو صور الكون عينا تستفيض دما بشق جيبٍ ولطم الوجه بالأيدى

لم توف من حقها ما كان يلزمها من البكاء على القاضي أبي زيد^(١)

وفي القرن الخامس صنف في الأصول الإمام أبو الحسن فخر الإسلام
على بن محمد بن حسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد
اليزدوى (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) وكان من كبار فقهاء الحنفية ببلاد ما وراء النهر
من سكان سمرقند، وله المصنفات الجليلة، ومن أهمها كثر الوصول في
أصول الفقه، ويعرف بأصول اليزدوى^(٢) وهو كتاب مهم تداوله الناس، وهو
الأصل الذي اختصر منه حسام الدين الاخسيكى كتابه المنتخب^(٣).

وكان أبو القاسم على بن أبي زيد بن حمزة الحسينى الدبوسى
(ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) من كبار أئمة الشافعية، إماما جليل القدر كامل المعرفة
بالفقه والأصول والنظر والجدل، وله باع "متد" فى المناظرة ومعرفة الخلاف،
انتهت إليه رئاسة الشافعية مع التفنن فى جميع العلوم. قدم بغداد وولى
تدريس النظامية، ولم يزل على التدريس إلى حين وفاته^(٤).

(١) تقى الدين التميمى الغزى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ج٤، ص ١٧٧.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٦٠٣، ٦٠٢. الزركشى: تشيف المسامع بجمع
الجوامع لتاج الدين السبكي، ج ١، ص ٢٠١. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ٢١،
ص ٤٣٠. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٤١ بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج ٦،
ص ٢٨٨. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص ٢٦٣.

(٣) السغنائى: الوافى فى أصول الفقه، ج ١، ص ٨٩.

(٤) ابن الأثير: اللباب فى تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٤٩٠. الذهبى: المصدر نفسه،
ج ١٩، ص ٩١، ٩٢. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٥، ص ٢٩٦، ٢٩٧. ابن
الصلاح الشهرزورى: طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ٨١٨. ابن كثير: طبقات
الفقهاء الشافعيين، ج ٢، ص ٤٨٣.

وأبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوى (ت ٤٩٣هـ / ١١٠٠م) أخو الإمام على البزدوى الذى أسلفنا ذكره، كان شيخ الحنفية ببلاد ما وراء النهر بعد أخيه، إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق سكن سمرقند، له التصانيف الجليلة فى الأصول والفروع^(١).

تجدر الإشارة هنا إلى أن تناول علم أصول الفقه اختلف تماماً فى القرن السادس عنه فى القرن الخامس، فقد اهتم الأصوليون الأحناف فى القرن السادس فى مدن إقليم الصغد بشرح كتاب البزدوى والسرخسى، وتوقف تطور أصول الفقه الحنفى وانصرفت همم الأحناف إلى كتابة الشروح والتعليقات على كتاب البزدوى. ولا نجد فى هذا القرن كتباً هامة نافعة للأحناف إلا كتابين: أحدهما ميزان الأصول فى نتائج العقول للإمام أبى بكر محمد بن أحمد السمرقندى (ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م) صاحب تحفة الفقهاء. وثانيهما بذل النظر فى الأصول أو الميزان فى أصول الفقه للإمام علاء الدين محمد بن عبد الحميد الأسمندى السمرقندى (ت ٥٥٢هـ / ١١٥٧م)^(٢). ولا يعنى هذا عدم وجود بعض المؤلفين لهذا العلم وإن لم يبلغوا درجة عالية.

ومن علماء أصول الفقه فى القرن السادس الهجرى أبو على الحسين بن على بن أبى القاسم اللامشى السمرقندى (ت ٥٢٢هـ / ١١٢٨م) كان إماماً فاضلاً مناظراً، له الباع الطويل فى المناظرة، يضرب به المثل فى علم الخلاف، وكان على طريقة السلف من طرح التكلف والأمر بالمعروف والنهى

(٤) الذهبى: المصدر نفسه، ج ١٩، ص ٤٩. طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، ص ٨٦. القرشى: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٩٨، ٩٩. اللكنوى: الفرائد البهية، ص ١٢٥. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مج ٣، ص ٦٣٨.

(١) عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص ١٥٢.

عن المنكر، وكان قوالاً بالحق يدخل على الملوك ويقول الحق في وجههم^(١). وأبو جعفر محمد بن الأثور بن المظفر بن محمد بن سهل بن إبراهيم الكشاني (ت ٥٢٤هـ / ١١٣٠م) كان من كبار علماء الخلاف^(٢). كما يعد أبو حفص عمر بن عبد العزيز البخاري المعروف بالحسام (ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م) من كبار الأصوليين تفقه على أبيه واجتهد إلى أن صار أوحده عصره وفريد دهره في علم النظر، وارتفع أمره ببلاد ما وراء النهر عند الخاص والعام، ومن آثاره كتاب أصول الفقه، وعاش في حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة في سمرقند في موقعة قطوان^(٣).

كما كان أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي أحمد علاء الدين شمس النظر السمرقندي الحنفي (ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م) من أئمة الفقهاء الأصوليين، ذا حظ وافر في الرواية والدراية، متبحراً في العلوم الفقهية والأصولية، ومن أهم مصنفاته ميزان الأصول في نتائج العقول، وهو كتاب متوسط الحجم، ليس فيه إطناب ممل ولا إيجاز مخل، أسلوبه سهل، عذب سلس وترتيبه منطقي، ومن منهجه عرض الآراء المختلفة وبيان كل حجة دون الدخول - في الغالب - في المناقشة والجدل، وله أيضاً كتاب اللباب في أصول الفقه^(٤).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٦، ص ٧٢. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، ص ١٢٧. السمعاني: الأنساب، ج ٥، ص ٦٧١. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج ٦، ص ١٠٠. ابن القوطي: مجمع الآداب، مج ٢، ص ٥٨.

(٢) العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ج ٣، ص ١٢١٦.

(٣) الاسنوي: طبقات الشافعية، ج ١، ص ٢٠٨. ابن الصلاح الشهرزوري: طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ٨٢٢. ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٠٢. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) الزركشي: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، ج ١، ص ٢٨٧. السغستاني: الوافي في أصول الفقه، ج ١، ص ٩٠. علاء الدين السمرقندي: ميزان الأصول، ص ١٦، ١٧م. عتيق أحمد البستوي: دور العلماء الأحناف في تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص ١٥٢، ١٥٣.

وأبو الفتح محمد بن عبد الحميد بن الحسين بن الحسن بن حمزة السمرقندي المعروف بالعلاء العالم (٥٥٢هـ/١١٥٧م) كان من الأئمة المشهورين في الفروع والأصول، إماماً فاضلاً مناظراً له الباع الطويل في علم الخلاف والجدل، صنف التصانيف في علم الخلاف، منها الطريقة المعروفة بطريقة العلاء العالم في مجلدات يقال لها التعليقة، وشرح منظومة الخلافات للنسفي، وكتاب بذل النظر في الأصول، وهو كتاب نفيس يحتوى على أبواب عديدة يجمع كل واحد منها مسائل منتظمة، واختلف منهج المؤلف في معالجة الأبواب بحسب طبيعة القضايا^(١). وكتاب طريقة الخلاف في الفقه، وهذا الكتاب أحاط بأحكام الفقه في مجملها وتفصيلها مدركاً بحكمها وعللها مميزاً عن وعى كامل بين التشابهات والمختلفات منها^(٢) والكتاب من أوله إلى آخره يسير على نهج واحد، فهو أولاً يورد حكم المسألة ويعقبه غالباً بالحكم المخالف بقوله: "كثيراً وعنده"^(٣)، وجمع فيه المؤلف أكثر من مائتي مسألة فرعية مختلف فيها وزعها على اثنين وثلاثين كتاباً^(٤).

وبعد القرن السادس الهجري تجمدت الحركة التأليفية في أصول الفقه، وجاء دور المتون والشروح في العلوم الإسلامية كلها، ومال علماء الأصول

(١) الأسمندي: بذل النظر في الأصول، ص ٢٣. الداودي: طبقات المفسرين، ج ٢، ص ١٧٧. السيوطي: طبقات المفسرين، ص ٣٥. العقلائي: لسان الميزان، ج ٥، ص ٢٤٣. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٤، ج ١، ص ١٥. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٦، ص ١١٥. اللكنوي: الفرائد البهية، ص ١٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٤.

(٢) الأسمندي: طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٢٤.

(٣) الأسمندي: طريقة الخلاف في الفقه بين الأئمة الأسلاف، ص ٤٣.

(٤) هشام نشابه وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، مج ١، ص ٦٧٨.

إلى تأليف المتون الموجزة المعقدة وشرحها وكتابة التعليقات والحواشى عليها^(١) ومن علماء الأصول فى القرن السابع الهجرى الإمام أبو حامد ركن الدين محمد بن محمد العميدى السمرقندى الحنفى (ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م) كان إماماً فى الخلاف، ومن تصانيفه: الجست، وطريقته فيه مشهورة وشرحها جماعة منهم بدر الدين الطويل المراغى^(٢) وكتاب الإرشاد فى علم الخلاف والجدل، والطريقة العميدية، وكتاب النفائس^(٣). وهذا الأخير اختصره القاضى شمس الدين الخوى وسماه عرايس النفائس^(٤). ويعد العميدى أول من أفرد علم الخلاف بالتصنيف، ومن تقدمه كان يمزجه بغيره من العلوم، وهو أحد الأركان الذين اشتهروا من تلامذة رضى الدين النيسابورى، وهم ركن الدين الطاووسى، والعميدى هذا، وركن الدين إمام زاده تميزوا وتبحروا فى هذا الفن، وكل واحد ينعت بالركن، وصنف العميدى الإرشاد واعتنى بشرحه جماعة من أرباب هذا الشأن، منهم القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد ابن الخليل بن سعادة بن جعفر، وصنف العميدى كذلك طريقة مشهورة بين الفقهاء واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، ومنهم نظام الدين أحمد بن الشيخ^(٥).

(١) عتيق أحمد البستوى: دور العلماء الأحناف فى تدوين أصول الفقه وأهم كتبهم الأصولية، ص ١٥٣.

(٢) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ١، ص ٢٨٠. ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج ٢، ص ١٣٦. عبد الله الرازى: تاريخ كامل إيران، ص ٢٢٥.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٦٤. ابن قطلوبغا: تاج التراجم، ص ٥٨. الزركلى: الأعلام، ج ٧، ص ٢٧.

(٤) القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص ٤٨. الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ١، ص ٢٨٠، ٢٨١. اليافعى: مرآة الجنان، ج ٤، ص ٣١.

(٥) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٧٦، ٧٧. القرشى: الجواهر المضيه، ج ٣، ص ٣٥٥، ٣٥٦. اللكنوى: الفرائد البهيه، ص ٢٠٠. اليافعى: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣١. محمد بن الحسن الثعالبى الفاسى: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، مج ٢، ص ١٨٣.

خلاصة القول بلغ علم أصول الفقه فى القرن الخامس الهجرى أوج قمته وازدهاره وتكاملت فيه العلوم الإسلامية، وظهرت فيه شخصيات بارزة قوية ألقت فيه الكتب التى أصبحت مرجعا لمختلف العلوم الإسلامية، مع أن هذا القرن قرن الضعف والاضمحلال والتفكك السياسى فى مدن إقليم الصغد والعالم الإسلامى ككل، وما أن جاء القرن السادس الهجرى حتى توقف تطور علم أصول الفقه، واكتفى معظم العلماء بكتابة الشروح والتعليقات، وما أن انتهى هذا القرن حتى جاء دور المتون والشروح فى العلوم الإسلامية بصفة عامة وعلم أصول الفقه بصفة خاصة.

سادساً: علم التصوف

التصوف منهج سلوكى يقوم على ركائز روحية ووجدانية تؤدى إلى صفاء القلب ونقاء السريرة^(١)، بملازمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والزهد فى الدنيا. يقول السبكى عن الصوفية: "إنهم أهل الله سبحانه وتعالى وخاصته الذين ترقى الرحمة بذكرهم وينزل الغيث بدعائهم"^(٢).

بينما يعرفه ابن خلدون بقوله: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة"^(٣). أما شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فيقول: "التصوف ترك

(١) أسعد السحمرانى: التصوف منشؤه ومصطلحاته، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٠.

(٢) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٢٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج١، ص ٤٦٧. محمد لطفى جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٧٥.

الاختيار، وحفظ حواسك ومراعاة أنفاسك، ويقال هو الجدد فى السلوك إلى ملك الملوك، ويقال هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل" (١).

فى الواقع أننا إذا أردنا أن نعرف التصوف فلن نجد تعريفا جامعاً مانعاً متفقاً عليه، حيث عرفه كل صوفى بطريقة خاصة تعبر عن إحساسه ووجدانه، وترجم تجربته الخاصة (٢).

تعددت الآراء عند مؤرخى الفكر الإسلامى حول حقيقة المصدر الذى اشتقت منه كلمة صوفية، فعزوا التسمية إلى الصفة، وهى فناء ملحق بمسجد الرسول، وانتسب بعض المسلمين إليه فعرفوا بأهل الصفة، وكانوا يتميزون بالزهد والإعراض عن الدنيا. كما عزوها إلى الصوفة، وهم الذين كانوا يقومون على خدمة الكعبة فى الجاهلية. وإلى الصوف، نسبة إلى لبس الصوف، وإلى الصفاء (٣). وسمى كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ، وأتباعه بالمريدين. ويقول محمد بن المنور: "إن مدار الطريقة على الشيخ لأن الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته، وهذا العلم - التصوف - لا يأتى إلا عن طريق العشق، فليس الدنيا بالتمنى ولا بالتجلى وتكن بشيء وقر فى القلب وصدقته العمل" (٤).

(١) زكريا الأنصارى: شرح كتاب الرسالة القشيرية فى علم التصوف لأبى القاسم عبد الكريم القشيري، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٢٦.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربى، بيروت، ١٩٦٢، ص ٣٧٨. ملكة على التركى: مدخل إلى الأدب الصوفى، ص ٦.

(٣) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ١، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٧. الهجویری: كشف المحجوب، تحقيق إبراهيم النسوقى شتا، دار التراث العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٩. أسعد السحمرانى: التصوف منشؤه ومصطلحاته، ص ١٧-١٩. عبد المنعم الحفنى: موسوعة الفرق، ص ٢٧٩، ٢٨٠. محمد لطفى جمعة: المرجع نفسه، ص ٢٧٥. سليم نيسارى: تاريخ أدبيات إيران بعد از إسلام، ص ٥١.

(٤) محمد بن المنور بن أبى سعيد: أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد، ص ٦٥.

كان المتصوفة يعيشون في أماكن خاصة بهم تعرف باسم الخانقاوات يخضعون فيها لنظام دقيق في السلوك الروحي^(١) حيث إنهم حبسوا أنفسهم على التعبد دون أن يزاولوا أى عمل من شئون الدنيا معتمدين على ما يوقفه عليهم أهل اليسار عما يكفيهم لمطعمهم وملبسهم، وغير ذلك من أغراض الحياة الدنيا التي لأبد منها لمعاشهم وحياتهم اليومية^(٢). انتشرت الخانقاوات في جميع أرجاء العالم الإسلامى ابتداءً من القرن الخامس الهجرى، ووضعوا فيها نظاماً معيناً للحياة، وكان من التقاليد المتبعة في هذه الخانقاوات إقامة حلقات السماع التي يردد فيها القوالون أشعارا في الغزل يفسرونها تفسيراً صوفياً^(٣).

لاشك أن التصوف الإسلامى مر بمراحل مختلفة متميزة، فكان الزهد هو المرحلة الأولى في القرنين الأول والثانى الهجريين، حيث بدأ التصوف في صورته البسيطة على يد صحابة رسول الله والتابعين، متمثلاً في الزهد في متاع الحياة الدنيا، لكن التصوف في هذه الفترة لم يكن تصوفاً بالمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة الذي عرف فيما بعد^(٤)، وفي أواخر القرن الثانى الهجرى تحول الزهد إلى تصوف، وانقسم علم الشريعة إلى قسمين علم الفقه الذى يبحث الأحكام التي تجرى على الجوارح، وعلم التصوف الذى يبحث في باطن الشريعة وتفهم أسرارها والنظر إلى العبادات وأثرها في النفوس وما يترتب عليها من أحوال نفسية وفوائد روحية، وبذلك تدرج التصوف فانتقل

(١) عبد اللطيف محمد العبد: التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، ط ٣، دار الهانى للطباعة، القاهرة، ص ٩٣. سليم نيسارى: المرجع نفسه، ص ٥٢.

(٢) طه الولي: المساجد في الإسلام، ص ٨٩.

(٣) إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ط ٢، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ١٩٨١م ص ٥٧.

(٤) فخر الدين الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١١٠. ابن القيسرانى: صفوة التصوف، ص ٥٧.

من زهد بسيط لا قواعد له إلى حياة روحية منظمة، ومؤسسة على قواعد مرسومة^(١).

ثم دخل التصوف بعد ذلك في دور جديد، هو دور المواجه والكشف والأذواق^(٢) ويقع هذا الدور في القرنين الثالث والرابع الهجريين اللذين يمثلان العصر الذهبي للتصوف الإسلامي في أرقى مراتبه، حيث أصبح طريقا لتصفية النفس، وتحصيل المعرفة، وظهر للتصوف في تلك المرحلة اتجاهان متميزان، أحدهما سني يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة. والآخر شبه فلسفي، ينزع أصحابه فيه إلى الشطحات^(٣).

واتخذ التصوف في القرن الخامس الهجري اتجاها سنيا، واستقر على أساس نظري وعملي ثابت، وتمهدت قواعده العامة، واتضحت النواحي الفكرية لكبار الصوفية، وازدادت مسائل الصوفية نضجا وشمولا وفسرت غوامض الأقوال^(٤) بينما عاد التصوف الفلسفي في القرنين السادس والسابع الهجريين بصورة أشد، وهو تصوف عمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارتهم العقلية وذلك نتيجة لتأثر التصوف بالآراء الفلسفية والعقائد الكلامية^(٥).

كان التصوف هو المصب الذي التقت فيه معظم روافد الفكر في هذه الفترة فوجدنا بين صفوف الصوفية من هو سلفي يلتزم بظاهر النص، ولا يجنح إلى التأويل. كما وجدنا في صفوفهم كثيراً من أهل السنة، الذين

(١) عبد الرزاق الكاشاني: اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٩.

(٢) فخر الدين الرازي: المصدر نفسه، ص ١١٠. ابن القيسراني: المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٣) عبد الرزاق الكاشاني: المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.

(٤) قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ص ٦٢١.

(٥) قاسم غني: المرجع نفسه، ص ٦٨٩.

اعتمدوا على العقل والنقل، بل وجدنا بين صفوفهم من ينتمى إلى الشيعة^(١) ذلك أن التصوف لا يمثل فرقة معينة ولا مذهباً مستقلاً^(٢) ومن ثم لم يكن من العجيب أن يتسع لمعظم المذاهب والفرق لأنه - فى الغالب - نزعة روحية سلوكية لا تعرف حدوداً مكانية ولا تختص بها فرقة مذهبية دون أخرى^(٣). وبالتالي كان ميدان التصوف من أرحب الميادين التى تجلت فيها إسهامات علماء مدن إقليم الصغد فى أروع صورها.

فالتصوف الإسلامى الذى ظهر على أيدي مشايخ إقليم الصغد وجرت به ألسنتهم قد صب فيه روافد عديدة، ومما يلفت النظر عند صوفية سمرقند وباقي مدن الإقليم أمران: أولهما وفرة التأليف الذى قام به العلماء فى ميدان التصوف. والأمر الثانى اهتمام الصوفية بالسياحة - الرحلة والسفر - طلباً للحقيقة حيثما كانت، أو لنشر علومهم^(٤).

ازدهر التصوف فى مدن إقليم الصغد فى العصر السلجوقى وذلك لانتشار التعصب والمنازعات الدينية بين الفرق الإسلامية، واستخدمت كل فرقة من هذه الفرق العلم كوسيلة للتفوق على الفرق المخالفة لها، وفى ظل هذه الظروف لم يتدخل المتصوفة فى هذه المنازعات، بل التزموا الحياد مع كافة الفرق^(٥). ومن ضمن العوامل التى ساعدت على ازدهار التصوف فى هذا

(١) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى، ص ٥٢.

(٢) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة السباعى محمد السباعى، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ١٦٢.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٤) إبراهيم الدسوقي شتا: دور المتصوفة الأيرانيين فى ميدان التصوف الإسلامى وسياحتهم فى مصر، ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(٥) قاسم غنى: المرجع نفسه، ص ٦٦٦، ٦٦٧.

الإقليم؛ الاضطرابات السياسية حيث أدت الفتن والثورات إلى حالة من الخوف عند السكان فأثر بعضهم العزلة وأظهروا الزهد في الدنيا وانزوا في الخانقاوات وتفرغوا فيها للعبادة^(١). ومن ثم حظى شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم، وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم في حياة الناس، وأصبح التصوف علما مدونا له علماؤه الذين ينشرون مبادئه وتعاليمه ويدعون له. ومن أشهر علماء التصوف في مدن إقليم الصغد أبو بشر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابوري الصوفي (ت ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) نزيل سمرقند وكان له بها أمالي^(٢). والشيخ أبو محمد عبد الخالق بن أبي مالك البلخي الصوفي (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) دخل سمرقند وحدث بها^(٣). ومن بينهم الشيخ أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي ابن محمد الدربندي البلخي المحدث الصوفي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان أحد المشايخ المشهورين الجوالين في طلب الحديث، قدم نيسابور، ودخل سمرقند وتوفي بها^(٤).

كما كان الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الخراط السمرقندي (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م) من كبار المتصوفين، له مجلس إملاء في رباط المربع^(٥) والشيخ أبو حفص عمر ابن عبد الله الصوفي الصندوقي السمرقندي (ت ٥١١هـ / ١١١٧م) الذي أجاز للنسفي جميع مسموعاته وهي كثيرة^(٦). وكان الشيخ طاهر بن يونس بن علي الفاني (ت ٥١٩هـ / ١١٢٥م) المقيم

(١) ملكة على التركي: مدخل إلى الأدب الصوفي، ص ٢١.

Ignace Goldziher, A Short History of Classical Arabic Literature , p54.

(٢) النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، ص ٣٣٨.

(٣) النسفي: المصدر نفسه، ص ٣٨٧.

(٤) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية، ص ٢٩.

(٥) النسفي: المصدر نفسه، ص ٥٦٤.

(٦) النسفي: المصدر نفسه، ص ٤٧٨.

بسمرقند فى رباط بيت أبى الأشعث، من أشهر المتصوفين^(١). والشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسن الهمداني الزاهد (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م) شيخ الصوفية بمر وبقية مشايخ الطريق العاملين، رحل فى طلب العلم إلى سمرقند وبخارى وأصبهان، وله مؤلفات جليلة منها كتاب منازل السالكين، وكتاب زينة الحياة^(٢).

ومن المتصوفين المشهورين الشيخ الإمام العلامة أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفى السمرقندى (ت ٥٣٧هـ / ١١٤٢م) له كتاب "فرق متصوفة" أوله بسملة هذا كتاب بيان مذاهب أهل التصوف، يحتوى على أربعين رسالة، ثم يذكر أن أهل التصوف اثنتا عشرة، إحدى عشرة منها ضالة، وواحدة على طريق الصواب^(٣). والشيخ أبو محمد مظهر الدين محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان الخوارزمى صاحب الكافى فى الفقه (ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م) كان إماما فى الفقه والتصوف، نزيل سمرقند سمع بها أحمد بن عبد الواحد الفارسى^(٤).

والشيخ ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى المعروف بإمام زاده (٥٧٣هـ / ١١٧٧م) كان إماما فاضلا يعظ الناس ويتكلم من علوم الصوفية، أخذ طريق التصوف عن يوسف الهمداني، وكتابه شرعة الإسلام إلى دار السلام، كان مشتملا على المسائل الفقهية والآداب الصوفية^(٥).

(١) النسفى: المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٢) الذمبى: العبر فى خبر من غير، ج ٢، ص ٤٤٩. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب،

ج ٤، ص ١١٠. حسن مینوچهر: کارنامه بزرگان ایران، ١٣٤٠، ص ١٨٥، ١٨٦.

الزرکلى: الاعلام، ج ٨، ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) آقا بزرك: الذريعة، ج ١، ص ١٨٠.

(٤) السبکى: طبقات الشافىة الكبرى، ج ٧، ص ٢٨٩.

(٥) ركن الإسلام محمد بن أبى بكر السمرقندى: شرعة الإسلام إلى دار السلام، ص ٢٦،

٢٧م. آقا بزرك: المرجع نفسه، ج ٦، ص ٥٤.

خلاصة القول أدت الاضطرابات السياسية والصراعات المذهبية التي عانى منها الناس في مدن إقليم الصغد إلى ازدهار التصوف هرباً من متاعب الحياة الدنيا. وقد حظى المتصوفون باحترام وتقدير الحكام والناس، لبعدهم عن دائرة التعصب التي عانى منها المجتمع آنذاك، والتزامهم الحياد مع كافة الفرق والمذاهب. ومن ثم زحرت سمرقند بعدد عظيم من علماء التصوف الذين خلفوا مصنفات عظيمة أثرت المكتبة الإسلامية.

